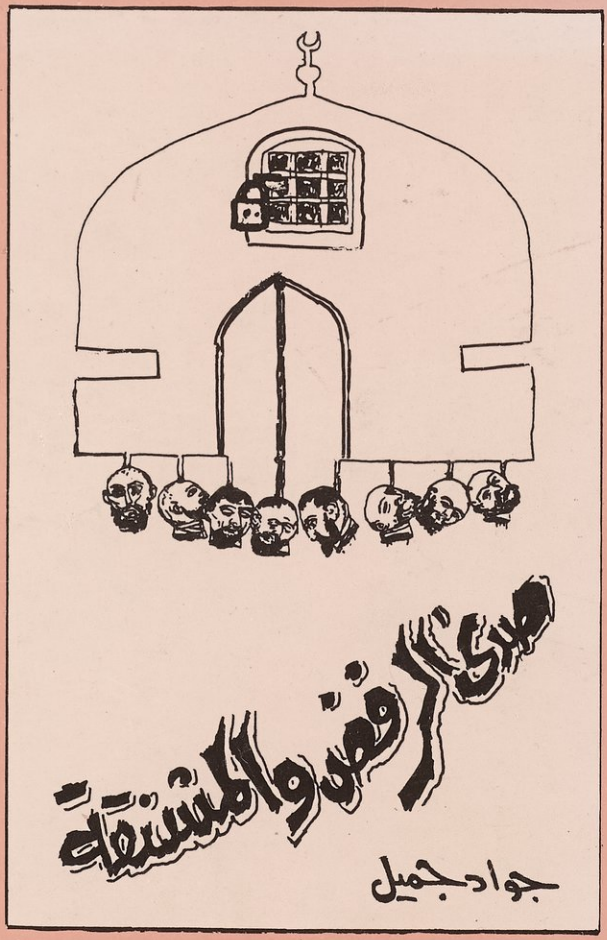
صدى الرفض والمشنقة
جواد جميل

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

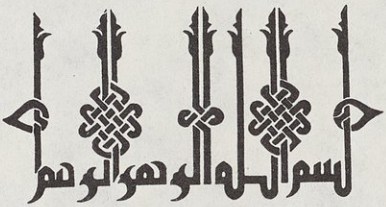
بسم الله الرحمن الرحيم

Jamil

مبدأ الرفض والمشاقة

جواد جميل

معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية
في منظمة الاعلام الاسلامي
٢٣١

PJ7840
.A45S22

الكتاب: صدى الرفض والمشنقة. (ديوان شعر).
المؤلف: الاستاذ جواد جميل.
الناشر: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي.
الجمهورية الاسلامية في ايران (طهران) ص. ب ١٣١٣/١٤١٥٥.
المطبعة: سبهر/ طهران.
التاريخ: الطبعة الاولى: ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.
طبع منه: ٥٠٠٠ نسخة.
بمناسبة الذكرى السادسة للحرب الظالمة المفروضة على الجمهورية الاسلامية في ايران.

32101 014980708

مقدمة الناشـــر:

يسر منظمة الاعلام الاسلامي ان تقدم هذا السفر الادبي القيِّم لكل من يعشقون الكلمة النابضة الموحية، والمعنى العميق الهادف، والتركيبة الموسقة تصوغها جراح التاريخ، وآهات المحرومين.

فالى التفاعل مع كل الآفاق التي يحفل بها هذا الديوان ندعو هؤلاء العاشقين.

معاونية العلاقات الدولية

في منظمة الاعـــلام الاســـلامي

في البدء

في موسم الذبحِ
مَنْ يرفع السكينَ عن جرحي،
ويَحْطم الألواحَ والمشنقهْ؟
فانني أكتب أشعاري بلا بَوْحِ
في زمنٍ يَتَّهمُ الشاعرَ بالزندقهْ

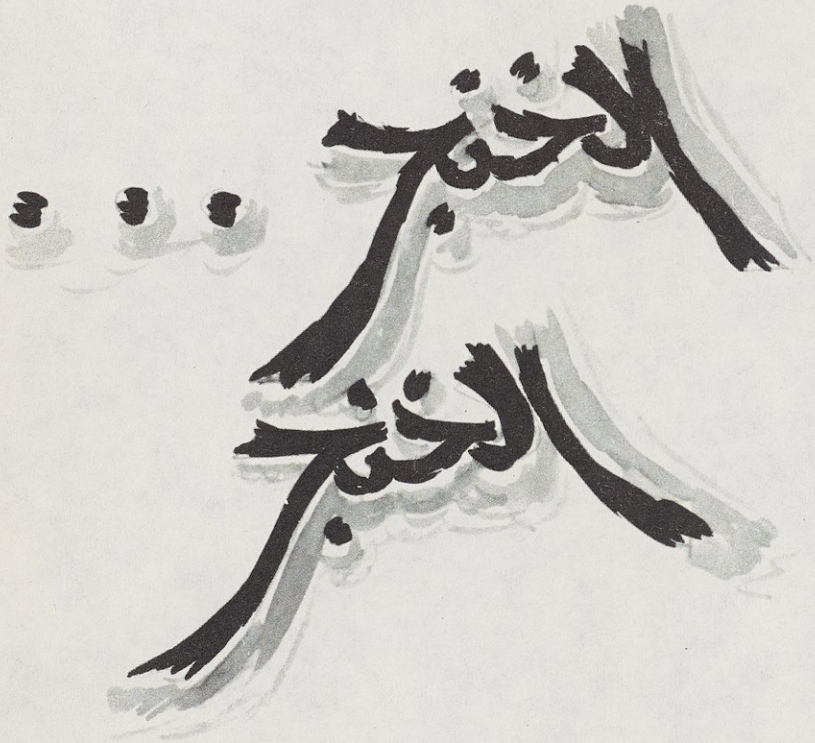
الأخبر
الأخبر

لمن أكتبْ؟
أأكتب للّيالي السود آلامي،
وقد سمعت طويلاً وقعَ أقدامي،
وقد شهدت مواكبَ دفن أحلامي،
على أيدٍ صليبيه؟!

* * *

أأكتب للعيون الغارقات بأدمع الهجرهْ
قصائد لن تكون ببحرهم قطرهْ،
وهم مَنْ علَّموا الابطال كيف تُفجَّر الثورهْ؟

* * *

أأكتب للصغار الشاردين بوحشةِ الدربِ،
وقد عرفوا صراع الحقد والحبِّ،
وقد كتبوا بسكينٍ علىٰ قلبي،
سطوراً...
أخرست شفةً صليبية؟!

* * *

أأكتب للسلاسلِ تحتويها ظلمةُ السجنِ،
وقد وقَّعْتُ من نغماتها لحني،
أأروي قصةً عنها،
لترويَ قصةً عني!
فَنُسمعَ صوتَنا المخنوقَ آذاناً صليبيه؟!

* * *

أأكتب لِلدَّم المطلول في زنزانةٍ سوداءْ؟
أأكتب للجلود الزرق والاشلاءْ؟
أأكتب للذين هناكَ : لا موتى ولا أحياءْ؟
لمن أكتب؟
سأكتب للذين سيولدون حكايةَ الخنجرْ!
وما أدراك ما الخنجرْ؟!

* * *

أنا لا أحتاج الى العطف، بل الى الحبّ

شاعر روماني

وَمَرَّ بيَ العيدُ ما حركت شفتي بسمةٌ
أو تناهىٰ لِسَمعيَ صوتُ الطفولهْ.
ولا حركتْ جفنَ عينيَ ومضةُ نُورٍ...
ولا شَدَّني فرحٌ ... كنتُ أسكنُ أقبيةَ الحُزنِ،
أُبحرُ في مركبِ الحُزنِ،
أسمعُ أغنيةَ الحُزنِ،
حولي كانت جميعُ الوجوهِ تُغَنِّي،
ولكنني لي كلامٌ علىٰ ألَمٍ لنْ أقولَهْ.
وحاولتُ أن أعزِفَ لحنَ الربيعِ بقيثارةِ الثلجِ،
حاولتُ أن أرْسُمَ وجنةَ طفلي علىٰ الماءِ،
حاولتُ أن أنفُخَ الروحَ في جُثَّتي الباردهْ.
صرختُ: أيا أهلَنا، هل رأيتمُ أكفَّ التماسيحِ
تطرُقُ أبوابنا الصامدهْ؟
أيا أهلَنا، هل رأيتم وجوهاً تُباعُ علىٰ الأرصفهْ؟
أيا أهلنا، هل رأيتم بقايا عظامِ الصغارِ علىٰ المائدهْ؟
أيا أهلَنا قصةُ الخوفِ في ليلِكُم قصةٌ مقرفهْ.
ولا بدَّ من وخزةِ الشوكِ حين تحاول كَفّاكَ
أن تقطِفَ الزنبقهْ.

وهيهات مامات يوماً نَبِيٌّ،
وإنْ حَطَّمت عنقَهُ المِشنقهْ.

* * *

لو تعرف الرياحُ ما يقوله الشِّراعْ.
لو يعرف المهرج الضاحك ما يبدو إذا تمزّقَ القِناعْ.
لو يعرف الانسانُ في (بغدادَ) أنَّ روحهُ بضاعةٌ تُباعْ.
لَأَقسَمُوا بِأننا قصيدةٌ يكتبها الضّياعْ.

* * *

أفقت علىٰ صوتِ طفلٍ يُحدِّثُني...
صوتُهُ مثلُ ريحِ الجزيرةِ... عيناه كالبحرِ... أهدابُهُ كالمساء.
يقول: إلىٰ مَ تُطوفُ؟... وتبحر عَبْرَ المسافاتِ؟
يمتصّ لونَكَ رملُ السواحلِ،
يرقصُ في شِعرِكَ الهَمُّ،
يجتاحُ عينيك طيفُ الجنائزِ، واللّالقاءْ.
الى الآنَ أنشودةً ما كتبتَ ولا غنوةً... أو حِداءْ؟
ألا أيها الطفلُ أُنبيكَ عن سر مذبحةِ الكِبرياءْ.

أنا، كلّما قلتُ سوفَ أُغنّي،
تدافَعَ في شَفتيَّ البُكاءْ.

* * *

ولو أدري بأَنَّ جراحَنا سَتُباعُ في المرسىٰ.
ولو أدري بأَنَّ دماءَنا تُنسىٰ،
لأنكرتُ الغدَ المجهولَ والأمسا.
أما تدري بأَنَّ الحوتَ إنْ أطعمتَهُ قمراً،
سيطلبُ بعدَهُ الشَّمْسا؟

* * *

وَمَرَّبيَ العيدُ أعطىٰ الصغارَ وُروداً... رَياحينَ،
بعضَ الفَراشاتِ... أعطىٰ الرجالَ مَواويلَ حُبٍّ،
وأعطىٰ الصَّبايا هوادِجَ في القافلهْ.
وأعطىٰ دمي حُرقةً قاتلهْ.
تَذكَّرتُ عَلّي المـلـمُ أمـتعتي... وأُهـاجرُ مـثلَ السـنـونو
لِأَرضِ الربيعِ،
ولكنني ما تذكرتُ غيرَ جَفاف مواسميَ القاحِلهْ.

* * *

سَتَبْقَيْنَ بين عُيوني الدموعْ
وَتَبْقَيْنَ بين شفاهي القُبَلْ
وأبقىٰ على غُربتي نَورساً
تَغَنّىٰ بِشاطيكِ... ثم ارتحلْ
وما زال رغم سنين الضَّياعْ
يلوح بعينيهِ طيفُ الأَملْ
وقد يتواضعُ فَهُوَ الرمالْ
وقد يترفعُ فهو الجبلْ
وقد يستثير العيونَ الجمالْ
وقد يسترقُّ القلوبَ الغَزَلْ
ولكنّ قلبيَ بينَ الهَشيمْ
على ومضةٍ من رؤاكِ اشتعلْ

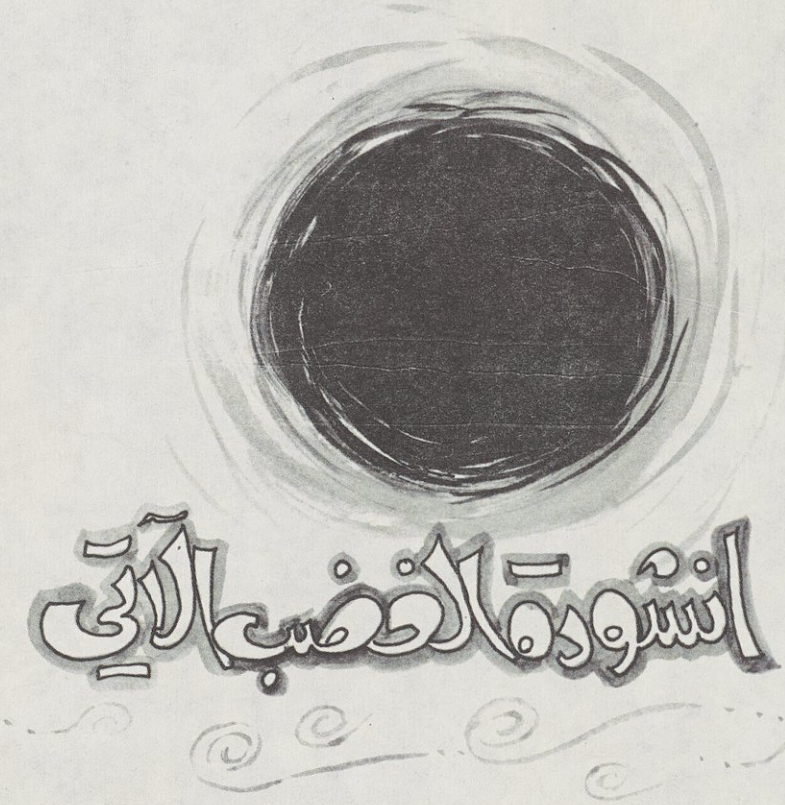
انشودة الغضب الآتي

قِـــمـــمٌ حَـــلَّـــقَـــتْ اليهـــا الـــنُـــسـورُ
وأحـــاديـــثُ رَتَّـــلَتهـــا الـــدهـــورُ
وأحـــاديـــثُ كـــلما عَـــرَكَ الصـــمـــتُ
رؤاهـــا هَـــبَّـــتْ عـــلـــيـــه تـــثـــورُ
ورجـــالٌ إنْ صـــارعـــتْـــهـــا الاعـــاصـــيـــرُ
أبـــت أن تـــزولَ فـــهـــي صُـــخـــورُ
تـــمـــلأُ الافـــقَ بـــالتمـــرُّدِ حـــتّـــىٰ
حين تهـــوي لاتحـــتـــويهـــا الـــقـــبـــورُ
ودمٌ... مـــا احـــتـــوتـــه لافـــحـــةُ الـــرمـــلِ
لـــيـــغـــفـــو... إلاّ وظـــلَّ يَـــفُـــورُ
وصـــعـــابٌ أضـــحـــت حـــبـــالـــىٰ بشـــيءٍ
كـــلُّ أيـــامـــه مَـــخـــاضٌ عســـيـــرُ
حـــرقـــةٌ في دمـــي بِـــأَنْ ســـوفَ يـــأتي
وأحـــاســـيسُ ثَـــرَّةٌ... وشـــعـــورُ
وعـــيـــوني تـــرقُّـــبٌ لـــغـــدٍ آتٍ
وانَّ الـــزمـــانَ ســـوف يـــدورُ
ربـــمـــا تـــنـــتشـــي شـــفـــاهٌ عطـــاشـــىٰ
ربـــمـــا يســـتـــفـــيـــقُ طَـــرْفٌ حســـيـــرُ

ربما تُمطَرُ الرمالُ فتهتزُّ
على فرحةِ اللِّقاءِ زُهورُ
ربما يبعثُ التمردُ في الموتى
وتنشقُّ في الخفاءِ السُّتورُ
لم تمت غرسةٌ تهاوت زَماناً
ولها في ثَرى الحياةِ جُذورُ
كلّما غالها الضياعُ أعادَتْها
خطاها ولم يرعها المسيرُ
واذا مسَّها من الدهرِ يومٌ
سامِرِيُّ الرؤى، غريبٌ مثيرُ
أثبتت رجلَها على صخرةِ الموتِ
ففي كفِّها: العظيمُ حقيرُ
وحدها اليوم إنْ تَشَأْ تكتبُ
التاريخَ مجداً، لا مايشاءُ الأميرُ

* * *

حدثتني رؤايَ أنْ سوفَ يجتاحُ
شُحوبَ السماءِ نَسرٌ جسورُ

يرسم الثورةَ الجزيئةَ صَحْواً
في عيونٍ يلفهنَّ الفُتورُ
لَمْلَمَ الليلَ من بيوتِ الملايينِ
فَصَلَّتْ، وَرَفَّ فيهنَّ نُورُ
هاتفاً والشِّفاهُ عطشىٰ، بأنْ
بعدَ صحارىٰ الضياعِ عذبٌ نميرُ
واذا أنَّةُ الشقاءِ انتشاءُ
واذا شهقةُ العذابِ سرورُ
إنَّ في قمَّةِ المعاناةِ نصراً
سامقاً لم يذُقْهُ إلاّ الصَّبورُ
قيلَ: ما روعةُ الصراع؟ فقلنا:
إنَّ شوكَ المعذَّبينَ حَريرُ
قيل: قد تُقتلُ الرجالُ فقلنا:
عُمرُ الرافضِ الجريءِ قصيرُ
هكذا تكتبُ الملاحمُ، فيها
كلُّ حرفٍ مدىٰ الزمانِ منيرُ
واذا النزفُ خَطَّ حرفاً تسامىٰ
خالداً لا تَنالُ منه العُصورُ

يتباهىٰ الجبانُ أنَّ علينا
كم تعالىٰ منه البكاءُ المريرُ
بين أن تُسمعَ الدُّنىٰ صرخةَ الرفضِ
وبين البكاءِ فرقٌ كبيرُ

* * *

لم تزل في يدي قيودُ عذابٍ
وجناحي للآنَ منها كسيرُ
والمطامير لم تزَلْ بين عينيَّ
وسوطُ العذابِ فيها سميرُ
والحبالُ الرعناءُ شَدَّ عُراها
لِرِقابِ المعذَّبين أَجيرُ
والظلامُ الرهيبُ قبرٌ وفيهِ
مُثْقلاتٌ بما تنوءُ الصدورُ
كلُّ هذا والجفْنُ يحلُمُ بالنصرِ
جناحاً يَشُدُّهُ ويَطيرُ
عابراً لُجَّةَ العذاباتِ كم قدْ
عرفته شواطئٌ، وبحورُ
واذا راعهُ من الحقدِ وكرٌ

فرشت دفأها اليهِ وكورُ
سارياً أحرقت خُطاهُ ليرتَدَّ
رمالٌ محمومةٌ وهجيرُ
أفردتهُ بحقدها حادثاتٌ
كلُّ أرزائها عظيمٌ خطيرُ
بعضُها يلتظي اتقاداً وبعضٌ
في شرايينه يشُبُّ السعيرُ
حسبتْ أنها تراهُ وحيداً
مستجيراً منها وعزَّ المُجيرُ
فاتَها أنَّهُ إذا كبر المجدُ
بجنبيه فهو ليثٌ هَصورُ
وهو لم يَثنِهِ الصراعُ
وأنّىٰ يتوانىٰ سيفٌ وَألفٌ ظهيرُ
وهو باقٍ سِفْرَ الحَياةِ
وفيه كُتبت من دمِ الرجالِ السُّطورُ

* * *

قل لمن عنده الحياةُ اتّقاءٌ
للبلايا... ونعمةٌ... وقصورُ
إننا نفهم الحياةَ صِراعاً
طرفاهُ مصدّقٌ وكَفورُ

* * *

محنةُ العمرِ أنني أتلظّى
وأخو الدربِ ضاحكٌ مسرورُ
قال: اني نذرتُ إنْ حَفَّنا النصرُ
ونذري شمعُ الهوى والبخورُ
قلت: نَذري صدورنا والنحورُ
ودمٌ هادرٌ وقلبٌ طَهورُ
وعيونٌ دفينةُ الحزنِ تُسقى
دمعها وجنةٌ وخدٌّ عفيرُ
وشبابٌ يذوبُ فينا شموعاً
عَلَّهُ ينشرُ الضيا... وينيرُ
واذا الخطبُ لَفَّنا وَلَهَوْنا
بالمنايا... وشدَّنا التكبيرُ
جاءَنا النصرُ مشرئبّاً وفيهِ
تَتَبارى أسيافُنا والنُّذورُ

(ومازال «سِيزيف» يحملُ الصخرةَ الى القمة،
ثم تهوي متدحرجةً نحو الهاوية)

«دانتي»

أعرف خارطة الخوف
وأعرف كلَّ المنحدرات المحفورة فيها
أعرفُ حاضرها، والمستقبلَ،
أعرف حتىٰ ماضيها،
أعرف كيف تموتُ الاوراقُ
وتسقطُ في لَفَحات البردِ،
وأعرف كيف تعود ربيعاً
يرقص في أغصان الثلجِ،
ويكتب فوق رمال البحرِ،
وأعرف ماذا يلغو (النورسُ)
صبحاً حين يُناجيها.

* * *

أعرف أن معاني الصمتِ،
تعدِل كلَّ معاني الموتِ.
أعرف أن الليلَ المرسوم
على جدران منازلنا،
لا تمسحه الخُطَبُ الجوفاءُ
ولا تصفيقُ محافِلنا.

ماذا ينفع أن يفتح شاعرنا
شفتيه بلا صوتٍ؟
ماذا ينفع أن تسمعَ
(صوت الثورة من طهران)
وتغلق كلّ شبابيك البيتِ؟
ماذا ينفع أن تُسرج مصباحاً في الليلِ
بلا زيتِ؟
إفتحْ جرحاً في القلبِ
وضعْ فيه فتيلاً،
سيظل ينيرُ الدربَ
بلا قطرة زيتِ.

* * *

سمعت أميرة الامراءْ،
تكتب عن دم الشهداءْ
أغنيةً،
تُهد هد طفلها فيها اذا يبكي.
سمعت أميرة الامراءْ
في ديوانها تحكي

فَيُصغي عندها الأُجَراءْ
تروي عن طريق الخوفِ..
والآلامِ...
والشوكِ ...!
عن المِحراب...
والصلَوات...
والنُسْكِ...!
سمعت كلامها في الليلِ
فاستغفرت من ايمانيَ الماضي،
وغاص القلبُ عند الفجرِ
في الشكّ.

* * *

وأَعرفُ ما يدورُ هناكَ
بين النخل والبردي
وأَعرفُ طفلتي،
يجتاح عِفَّتَها ذئابُ الليل من بعدي.
وأعرف أنني مازلت أروي قصتي وحدي،
واسمع قصتي وحدي.

* * *

وأذكر أنني قد قلتُ حين طواني القلقُ
فؤادٌ كلّه حرَقُ
وليلٌ كله أَرَقُ
وجفنٌ قد براه الدَّمعُ
حتىٰ ليس ينطبقُ
وآهاتٌ تراكض بين أضلاعي وتستبقُ
خريفٌ أنت يا عمري
فلا زهرٌ ولا عبقُ
تساقط فيك أحلامي
كما يتساقط الورقُ
غريبٌ شارد النظراتِ
تخشىٰ خطويَ الطرقُ
وحتى الناسُ لا أدري
لماذا الخوف والفَرَقُ
أمن عينيَّ ؟
حيث غفا علىٰ حَدَقاتها الشَّفَقُ
أمِن أسمالي السوداء؟
لَوَّنها لي الغَسَقُ

أم آنَّ اللهَ...
من حجر براني لا كما خُلِقوا
فصرت بدربهم شمعاً
أنيرلهم،
وأحترقُ...
وايامي تراودني،
فلست بِقولها أثقُ
وأنكرني بزَهْوِ النصر مَنْ كرهوا،
ومن عَشِقُوا.
فما أبغضت من كذبوا،
وما أحببت من صَدَقوا
أنا من ضاق دون رؤاي
ــ حين ترفرفُ ــ الأفقُ
أنا البحّارُ...
والشُّطآنُ...
والأمواجُ...
والغرَقُ...

* * *

ما كنت أدري أنني اُغازل النجومَ
في عينيك يا حبيبتي
وألثمُ القمرْ.
ما كنت أدري
أنَّ قلبك الذي أسكُنهُ
(عصفورةٌ بلَّلها المطرْ.»
ما كنت أدري
أنني اذ أنشُر البذور في بستاننا،
يُنكرني إذْ يكبر الشَجَرْ.
ما كنت أدري
أنني أسيرُ في قافلةٍ أتعبَها السفرْ،
وضيَّعتْ طريقها القوافل الاُخرْ.
وعدت بين إخوةٍ
يَرَونني أسجد للهِ،
ويصرُخون بي:
لا تعبُدِ الحجرْ.

* * *

قلت يوماً:
إعزفوا انشودة النصرِ
(لِقابيلَ)،
فقد مزق أحشاءَ أخيهْ.
واكتبوا في كتب التاريخ
عن (يُوسُفَ)،
أنَّ الذئب أرداهُ،
ولسنا قاتليهْ.

* * *

أَذكر يوماً وصلتْ رسالةٌ
من أمي الحزينهْ.
من داخل الاسوار في (العراقْ).
تشكو بها الفراقْ.
قائلةً:
مازالت الذئاب في شوارع المدينهْ.
وكلّنا يا ولدي بخيرْ،
جَلاّدنا بخيرْ،

وَحُزننا بخيرْ،
والألَم المدفون في أعماقنا بخيرْ.
ما زالت الموتىٰ تبيع الأَوجهَ الدفينهْ.
اطفالُنا من خوفها تموتْ.
ما زالت البيوتْ،
يسكن في سقوفها مليونُ عنكبوتْ.
ياولدي:
ليت لنا أن نُخرج الموتىٰ
من اللُّحودْ.
وبعدها نفترش الرملَ
ولن نعودْ.
أسعارنا رخيصةٌ،
كقيمة المَيِّت في الوجودْ
رخيصةٌ... كالحطب البرّيِّ...
كالرمادِ...
أو كالدودْ...
رخيصةٌ كَعِفَّة (البعثيِّ)

والكلاب... واليهودْ...
أرواحُنا تُباع أحياناً
بلا نقودْ.
يا ولدي:
لا فرق في بلادنا،
بين بقايا الشوك والورودْ.
حاكمنا متىٰ أرادَ
أحضر الشُّهودْ.
تسكن في مكتبهِ الشُّهودْ!
وأصدر الحكمَ على رجالنا
بتهمة الركوع والسجودْ.
وأخمدت أنفاسَها
المشانقُ الرعناءُ...
والقيودْ.
لكن فينا ثورةً
أعصابُها لا تعرف الرقودْ.
حتى التي كانت قديماً عاقراً،
قد أصبحت وَلودْ.

وسجننا ، يا ولدي بخيرْ
ما برحت تأشيرةُ الدُّخولْ
تمنع في سمائنا
حتى رفيف الطيرْ
ما برح المقتولْ،
شهادة الوفاة في تابوتهِ
يكتبها مجهولْ.
هذا وفي الختام:
أُنبيك أن جارنا نُفِّذَ فيه الحكم بالاعدامْ
والكتب السِّرِّية الصغيرهْ
لم يطّلعْ يوماً عليها الغيرْ
والسلامْ.

* * *

لا تحسَبوا يا سادتي
ما قلته الخاتمهْ.
عندي اعترافٌ مذهلٌ
في الجلسة القادمهْ.

رجب الدفض

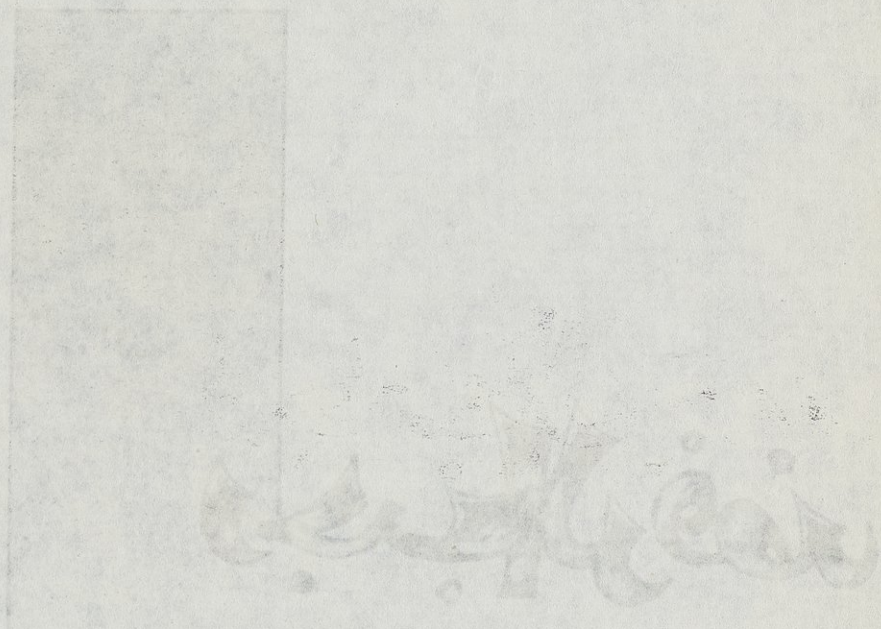

لستُ أبكي الجراح فهي فَخارُ
أنا باكٍ من أن يضيعَ الثارُ
يُغرقُ الدمعُ مقلتي لغدِ المجدِ
اذا امتدَّ في العيونِ النهارُ
لغدٍ شَدَّني له الشوقُ طيراً
هاجرتْ عن سمائهِ الأطيارُ
لغدٍ قد رحلتُ فيه سنيناً
وسنيناً وما هداني السِفارُ
لغدٍ قد رسمتُهُ وجْهَ طفلي
إذْ بكى حين عانقتْهُ الصغارُ
لغدٍ صغتُه بآهاتِ أمّي
حين تبكي، وحين تبكي الديارُ
ونذرتُ الشموعَ علَّ ليالينا
تلبّي ويرجع السُّمّارُ...
والعَطاشى يندى الرواءُ بعينيها
وتهفو لِلَحنها الاوتارُ
علَّ ذاك الغريبَ يُرجعه الدربُ
فيحكي، وتعذُب الاخبارُ

وترقبتُ ربما سألاقيهِ
قريباً... وطالَ مني انتظارُ
واحتواني المساءُ، وامتصَّني الخوفُ،
وضاعت بخاطري الأسرارُ
وسألتُ الجراحَ: أين الغدُ الآتي؟
وأين الشراعُ والبحّارُ؟
وتلعثمتُ عندما همهمَ الجرحُ
وهبّت على ضلوعي النارُ
هتف الجرحُ في دمي: أنا باقٍ،
ليَ في ظلمةِ الطريقِ منارُ
يربحُ الواهبون للنزفِ، لكنْ،
بالجراحاتِ يخسرُ التجارُ

* * *

أنا أدري أنَّ الحقيقةَ صرحٌ
سرمديُّ الوجود لا ينهارُ
شيدتْهُ القلوبُ فهو عظيمٌ
وسقتهُ العروق والانظارُ
سامقٌ لا يُميله الغضبُ العاتي

ولا يستذلّهُ الإعصارُ
هو للهائمين ظلٌّ... وللسارينَ
ومضٌ... وللظِما أنهارُ
وهو ان أجدبت مرابعُنا الخضراءُ،
وامتدَّ في رباها البوارُ
أملُ المتعبين يزرعُ بالغيم
سمانا، فتهطل الامطارُ
وهو ان مزَّقَ الخطى عَثَرُ الدربِ،
أبى أن ينالَ منهُ العِثارُ
كم أبيٍّ هفا اليهِ ولكنْ،
حجبته عن نوره الأستارُ
وكبيرٌ على الرجالِ انطواءٌ
في زوايا يلفهنَّ الغُبارُ
وكبيرٌ على المفكر أن تُغتالَ
في عمق روحهِ الأفكارُ
فتضيع الاجيالُ وهو على الضَفَّةِ
باقٍ يهزهُ الإبحارُ
كلّما مدَّ كفهُ ليريها

الـــدربَ، مـــدّت أكُـــفـــهـــا الأخطـــار
واذا صـــاحَ: مِـــنْ هـــنـــا الـــدربُ، صـــاحـــتْ
أَلـــفُ شـــوهـــاءَ: كـــاذبٌ كَـــفّارُ
إنـــه المـــوتُ حـــيـــنَ يُصـــلـــب في الـــلـــيـــلِ
نـــبـــيٌّ لِـــتُـــعـــبـــد الأحـــجـــارُ

* * *

ســـائـــل الشـــمسَ عـــن وجـــوه الضـــحـــايـــا
فـــهـــي أدرىٰ، مـــاضـــمـــت الأســـحـــارُ
وهـــي أدرى أنَّ الـــذي غـــرس الـــبـــذرةَ
يضـــنـــىٰ، لـــتـــورق الاشـــجـــارُ
يـــتـــمـــنـــىٰ أن يســـتـــفيءَ بهـــا ظِـــلاً
وريـــفـــاً، فـــتـــرفضَ الأقـــدارُ
مـــزقتهـــا الـــعـــقـــبـــانُ في هـــدأةِ
الصـــبـــح، فضـــاعـــت بنهبهـــا الأثـــمـــارُ
ســـل سطـــورَ الـــتـــاريـــخ عـــن (رجـــب)
الـــرفض، يُـــفَـــدّيـــه مـــاردٌ جـــبـــارُ
يـــومَ كـــانـــت أصـــواتُـــنـــا تـــمـــلأُ
الـــرحـــبَ، وضـــمَّـــت هـــتـــافَـــنـــا الاغـــوارُ

كخيول النبيّ نستبق الموت
ويضرىٰ بأسنا المضمارُ
قد كتبنا بنزفنا الحيِّ سطراً
عَقُمت دونَ وقعهِ الأسفارُ
سُورةُ (الكافرون) ملحمةُ اللاّءات
فينا، فكلُّنا إصرارُ
(رَجَبَ) الخير لو أبثك ما في
القلب وجداً، لَلَفَّكَ الانكارُ
(رجبَ) الخير هل تذكرت منا
بيعةً، أُرخصت بها الأعمارُ
يوم كانت اكفُّنا تحتوي (الصدرَ)
(حسيناً) حَفَّت به الأنصارُ
أو كأنَّ اللِّقاء في بيعةِ (الرَّضوانِ)
أضحىٰ، وبيننا (المختارُ)
كلُّ مستعذِب البلاء يمرُّ الضيمُ
فيهِ... وصبرهُ مَوّارُ
لن تضيعَ الخطىٰ في دربنا

المحفوف بالنزفِ لم تزلْ آثارُ
قيلَ: كفُّوا عن التحدي، فقلنا:
رُبَّما شقَّ غِمدَهُ البتّارُ
قِيلَ: خَلُّوا الصراعَ، إنْ أفسد
الدهرُ زماناً ما يصلحُ العطارُ؟
وتعالت أصواتهم تملأُ الدنيا
زعيقاً... وَرَدَّدَ الأشرارُ
وتهادت في الليلِ يحدو بها الحقدُ
وللنارِ في حشاها أُوارُ
واعتلت عرشَها (ببغدادَ)، والعزُّ
على (دجلة) المنىٰ منهارُ
وَعَتَتْ أنها ترىٰ الناسَ موتىٰ
والضحايا ثوّارُنا الأبرارُ
حيث بيعت أعمارُنا وبقايانا
ليغفوعلى رؤاها «التَّتارُ»
لم تَرُعْنا مشانقٌ في ثنايا
أباحت رقابها الأطهارُ

جرحنا لن يموتَ فهو امتدادٌ
(لحُسَينٍ)، يخطه الأحرارُ
لم تمُتْ أنت يا شهيدُ، ولن يُخنَقَ
شعبٌ، وصوته هدّارُ
أنتَ ما زلتَ في العيونِ بريقاً
عشقته القلوبُ والأبصارُ
قُمْ وَحَدِّقْ: أتىٰ مع الغضبِ العاصفِ
نصرٌ، لم تثنِهِ الأسوارُ
خفقت فوقهُ البنودُ وضاقتْ
عن ميادينِ شوطهِ الأقطارُ
يسبقُ الرعبُ خطوَهُ أينما سارَ
فيعلو بوقعهِ الإنتصارُ
يتهادىٰ بسمعهِ صوت عاشوراءَ
والحقُّ قطبه والمدارُ

كلما مدَّ منه كفّاً ولبّى،
رُجمت، قبلَ أنْ يقولَ، الجمارُ
وأعاد التاريخَ قافلةً حمراءَ
فيها حَدا الرجالُ وساروا
وستبقى الأجيالُ تذكر قوماً،
كسروا القيد بالدماءِ وثارُوا
وسيبقى الغرابُ يهزأُ من (قابيلَ)
دوماً؛ لأنه غدّارُ

* * *

ذكريات عبر الجرح

لو جئتِ يا صغيرتي لامتـــدت الفرحة في عيوني،
وارتحل الهمُّ بعيداً وانطوت شجوني.
أو خفقت أجنحةٌ بيضاء لا تعرفها جفوني.
لاشتعلت وانطفأت في لحظةٍ ظنوني.
وكنتُ أستفيقُ من جنوني.
لو جئتِ يا صغيرتي الجميلهْ،
وهبتكِ الحياة من سنينيَ الطويلهْ،
وهبتك الملامحَ النحيلهْ،
وقلتُ: يا همومِيَ القاتلةَ الثقيلهْ،
لا كنتِ أو تكوني.

* * *

أتذكُرين بيتَنا الطينيَّ في الجنوبْ؟
أتذكرين عودةَ الرعاة في الغروبْ؟
أتذكرين وجهي المتعبَ اذ يؤوبْ؟
أنبيك أن ضحكتي قد حَفَرتْ في وجهيَ القطوبْ.
أتذكرين المسجدَ الصغيرْ؟
و «كوزه» المبرَّدَ الصيفيَّ و «الحصيرْ»؟

و نغمةَ المؤذنِ الضريرْ؟
كأنها تمنحنا الحياهْ:
«حَيَّ علىٰ الصلاهْ».
أتذكُرين يومَ زرنا أرضَ كربلاء؟
أتذكُرين قبةً تعانق السماءْ؟
وكيف كنتِ ترفعين صوتكِ الطاهرَ بالدعاءْ؟
أتذكُرين بابَهُ المشْرَعَ... والشبّاكَ ... والضياءْ؟
أتذكرين الناس إذْ تطوفْ؟
يستلهمون صرخةَ الحسينِ في الطفوفْ.

* * *

أتذكرين كيف أخفينا هناكَ صورةَ «الإمامْ»؟
في الحائطِ الطينيِّ لا تَزالْ،
وفي قلوب الصبية الصغار لا تزالْ.
وأنت رغمَ السجنِ والظلامِ والاغلالْ،
أقسمُ ما يزالْ،
مرتسماً في قلبك «الإمامْ».
يا طفلتي لا بدَّ أن يعودْ،

يومٌ بلا تذكِرة العبور.. أو حدودْ.
لا بدَّ أن تُكسرَ من معصمكِ القيودْ.
لا تصرُخي: متىٰ؟
فَيومنا الموعودقدأتىٰ...
لا تصرُخي: وكيفْ؟
مازال في كَفّ «الإمام» سَيْفْ.
لا تصرُخي: وأينْ؟
فموعدُ الثوّار عند مرقد «الحسينْ».

* * *

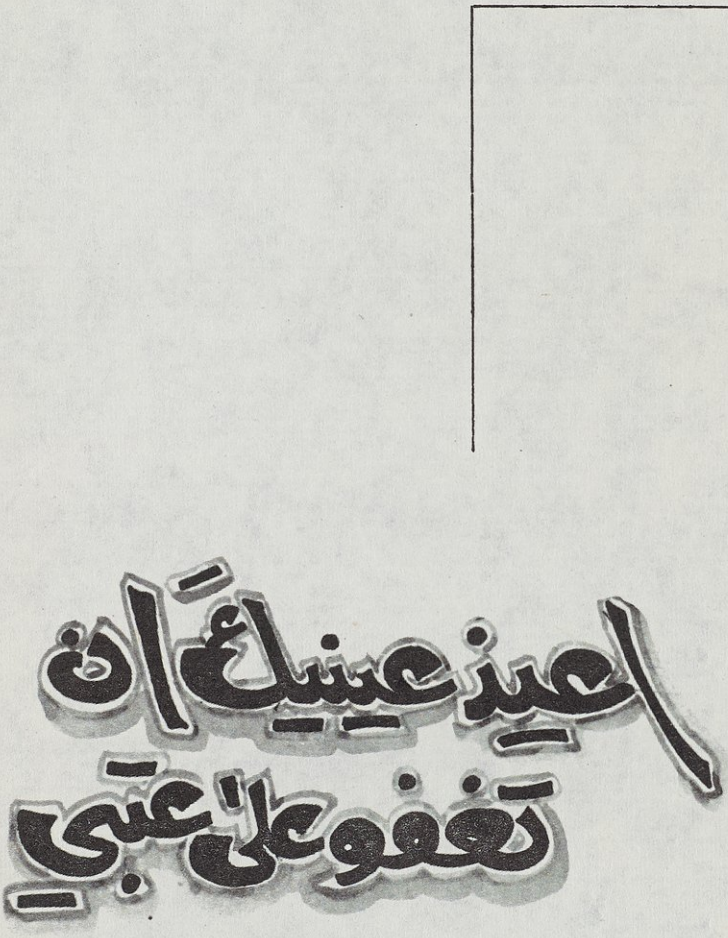
اعيذ عينيكَ أن
تغفو على عتبي

يا متعبَ الخَطوِ هل أودى بك السفرُ؟
أم يُفرحُ القلبَ أنّ الملتقى قَدَرُ؟
ومحنةٌ أنْ يظلَّ القلبُ منتظراً
وأن يخيبَه من كان يُنتظرُ
وأن يموتَ ربيبُ الغصن مخمصةً
وان يُباحَ بلا نُضجٍ به الثمرُ
وان تمرَّ الليالي وهي حالكةٌ
وفي سحابة صيفٍ يُحجبُ القمرُ
والصبرُ أعظمُ ما يحكيه ذو مِحنٍ
وأيُّ قومٍ على الأيام ما صبروا
يهزنا أن في أعماقنا أملاً
مانال منه على طول المدى خَوَرُ
وصحوةٌ تتهادى في خواطرنا
ماهدَّها في صراعات الدنى خدرُ
شَبَّت بنا عَزَمات الحق لاهبةً
فما تناهب منها المسلكُ الوَعِرُ
قيلَ: اقعدوا، لم تزل من فوقنا سُحُبٌ
وسوف تهطل حتى يورقَ الشجرُ

حتى اذا ما هفونا ظامئين لها
تَقَشَّعت، ولنا لم يَهطلِ المطرُ

* * *

يا ساريَ الدرب والظلماءُ محدقةٌ
أُنبيك أن الوفاً من هنا عبروا
مَرُّوا على قبريَ المهدومِ في كِبَرٍ
ورابني أن طيناً طبعهُ الكبَرُ
مَرُّوا بصادحةِ الانغامِ حسبُهُم
بِأنني يُنتضىٰ من جلديَ الوَتَرُ
قد يُقبلُ الضيمُ الاّ أنهُ غَضَبٌ
ويُشربُ البحرُ إلاّ أنَّهُ عَسِرُ
وقد يُعافُ رمادٌ دونما أملٍ
وتحتهُ ومضةٌ للجمر تستعرُ
ولو تطاول دهرٌ في تَعَنُّتِه
لم تبقَ الاّ الرسومُ الغبرُ والعِبَرُ
فأين (فِرعَونُ) والأوتادُ مشرعة؟
وأين مَنْ عُبِّدوا فيه ومن سُحِروا؟

وأين شاهقةٌ (هامانُ) شيدها
يرتدُّ طَرْفٌ رآها وهو منحسر؟
وراح (قيصَرُ) ما أغنت جحافلُهُ
عنه، وَحُجّابه عن حجبه قَصَروا
ونارُ (كِسرىٰ) تَهاوَت وهي مطفأةٌ
فيها التعاويذ لا تُغني ولا النُذُرُ
تَسْتَفُهمْ لعنةُ الأجيالِ غاضبةً
وهم بِصورِ رُؤىٰ أبطالِها قَذَرُ
فقل لمن مَدَّتِ الدنيا له يَدَها،
وأزهرَتْ في ثنايا كفِّهِ الدُررُ:
خُذْ كيف شئت وكُلْ من لحمِ امتنا
لا ينكرُ الطَّبلُ إنْ غَنّىٰ به الغجرُ

* * *

يا سيدي، وبقلبي أيُّما ألمٍ
ما كان في هذه الابيات ينحصرُ
وغضبةُ اللهِ قد حلّت مُدَمْدِمَةً

على (ثَمودَ) ببلوىٰ ناقةٍ عَقَروا
وفي العراق الوفٌ روِّعت ألماً
على الوفٍ بِكَفَّيْ ظالمٍ نُحِروا
يا سيدي؟ وأنا لي طفلةٌ سُجِنَتْ
وعمرُها سنةٌ، لو أنَّهُ عُمُرُ
تركتُها لستُ أدري هل سيقبُرها
بعدي الطغاةُ؟ وكم من أهلنا قَبَروا
وجئتُ أحمل آلامي لِأُنثرَها
مابين كفيكَ لا ابقي ولا أذرُ
وجئتُ أحمل جرحَ (الصدرِ) وهو دمٌ
مالاثَ خطويَ لا أينٌ ولا عَثَرُ
ولست ممن إذا ما مسَّهم جَلَلٌ
تَهربوا أن يَمروا فيه واعتذروا
لكنني من رجالٍ إنْ ألَمَّ بهم
خَطبٌ على حَرَدٍ يَومَ اللِّقا ثَأروا
يا ثاقبَ النظراتِ المستفيض بها
حُبّاً اذا ما غفا من غيرهِ النظرُ

في حاجبيكَ من الاصرار ملحمةٌ
من التواضع إلاّ أنَّهُ كبَرُ
تمدُّ كَفّاً الى التاريخ تُنْبئهُ
بأنَّ جرحك رغمَ السيف منتصرُ
وان ساريةً يعلو الضلالُ بها
يوماً سترفضها الدنيا وتنكسرُ
إنّا انتظرناكَ أجيالاً معذَّبةً
يشدُّ إيمانَها الآياتُ والسُّورُ
وقيل ما قيل، لكنّا وإنْ هدَرتْ
ما راعَنا في دَويِّ الملتقىٰ خطرُ
قُمنا إليكَ وبعضٌ في مراقدهم
وبعضُهم قال: هذا خارجٌ أَشِرُ
يا صامتاً ما أذلتْ نُطقهُ نُوَبٌ
وصارخاً يلتظي في عينهِ الحَذرُ
حَطَّت عليه البلايا في تزاحمها
وراعَها أنَّهُ للضيمِ يبتشرُ
وَأحدقت فيه نشوىٰ وهي ضاحكةٌ

يبدو له بعضُها والكلُّ مستَتِر
أهوىٰ بها وبدت كالشمس طلعتُه
رغماً، وقاسَمَها أن يصبحَ السَّحَرُ
صرختَ والشعبُ لَبّىٰ صوت قائدهِ
كأنما رَجَموا الشيطانَ واعتمروا
هَبَّ الملايينُ موجاً عاتياً صَخِبا
إنْ سُدَّ مجراهُ رغماً راحَ ينحدرُ
وكلُّ ما ضمَّت الدنيا له سِنَةٌ
الا الشعوب فما يغفولها بصرُ

* * *

أُعيذُ عينيكَ أن تغفو علىٰ عَتَبي
وأنْ تصدَّ بوجهي، لمحها شَزَرُ
وأن تضيعَ جراحاتٌ يضجُّ بها
سجنُ العراق وتعلو دونها الجُدُرُ
سألتُ (طهرانَ) وجهاً لَفَّهُ خَفَرٌ
من الربيع، وفي أحداقها حَوَرُ
هل تذكرين المآسي قبل مَقْدَمِه

وكيف مزّقَ خوفاً لفّكِ الظفرُ
تَذَكَّري أنَّ (بغدادَ) التي وهبت
كما وهبْتِ، غفا في حِضنِها «التَتَرُ»
بَكَتْ (عيونُ المَها) في الجسر واعتصرت
دمعَ الأسىٰ، وانتشىٰ في جفنها السَهَرُ
و (دجلةُ الخير) لَفَّ الصمتُ موجتَها
والنخلُ أبكى الشواطي جذْعُه النَّخِرُ
وقبةٌ تتحدّىٰ الليلَ شامخةً
تلوح للبدر في عِزٍّ فينبهرُ
قد كَبَّلَتْها أكُفُّ البغي في حَلَكٍ
علىٰ رُؤىٰ زمرةٍ ضَلُّوا وما شَعَروا

* * *

(الدماءُ النازفةُ من جرح حمامةٍ مسكينةٍ، هي نفسُ
الدماءِ المتدفقةِ من جراح الأنبياء)

«قول قديم»

أعطني خطَّ (بيروت) لطفاً...
أُكلمُ بعضَ الذين الىٰ الآنَ يمشونَ
بين شوارعها والرصاصْ.
أعطني خطَّ (بيروت)...
أسمع زيف المحاكم و (البرلمانْ)!
وزيف الشهودِ،
وزيفَ القصاصْ...
أعطني هاتفاً.. رقمه ما تشاءْ...!
ربّما كان مقهىً علىٰ ساحلِ البحرِ،
يكتظُّ عند المساءْ...
ربما كان حانوت مسكينةٍ في الجنوبْ.
تبيع به خوفَها في الغروبْ.
وتركض صامتةً لا تبوحْ.
لتهرب، فالناسُ (قَنّاصةٌ) فوق كلِّ السطوحْ.
أعطني هاتفاً رقمه ماتشاءْ..!
ربما كان ملجأً بعض الصغارِ،
الذين توارَوْا من القصفِ،
أو مخفراً لرجال الطوارئَ

أو مسجداً خالياً من دعاءْ.
أَعطني هاتفاً رقمه ما تشاء..!
لعلّيَ أَسمع (بيروت) يوماً...
تُغَنّي ... علىٰ حشرجات البكاءْ.

* * *

ــ «ألو»... حدّثونا عن الليلة الماضيه،
ــ أتسمعني؟..
ــ جيداً ... فالمسافات لا تقطع الحبّ.

* * *

ــ المدافعُ مجنونةٌ... كالشياطينِ..
والأُفق تملؤه النارُ..
قصفوا النبعةَ الآن...
طائرةٌ خرقت حاجزَ الصوتِ
فوق (البِقاعْ)...
ــ ونحن هنا في (العراقْ)
يُعذّبنا (ضابطُ الأَمنِ)!
يخلعُ أظفار أقدامنا... واليدينْ...
لِأَنا فقأنا عيون السُّكارىٰ... الرفاقْ.

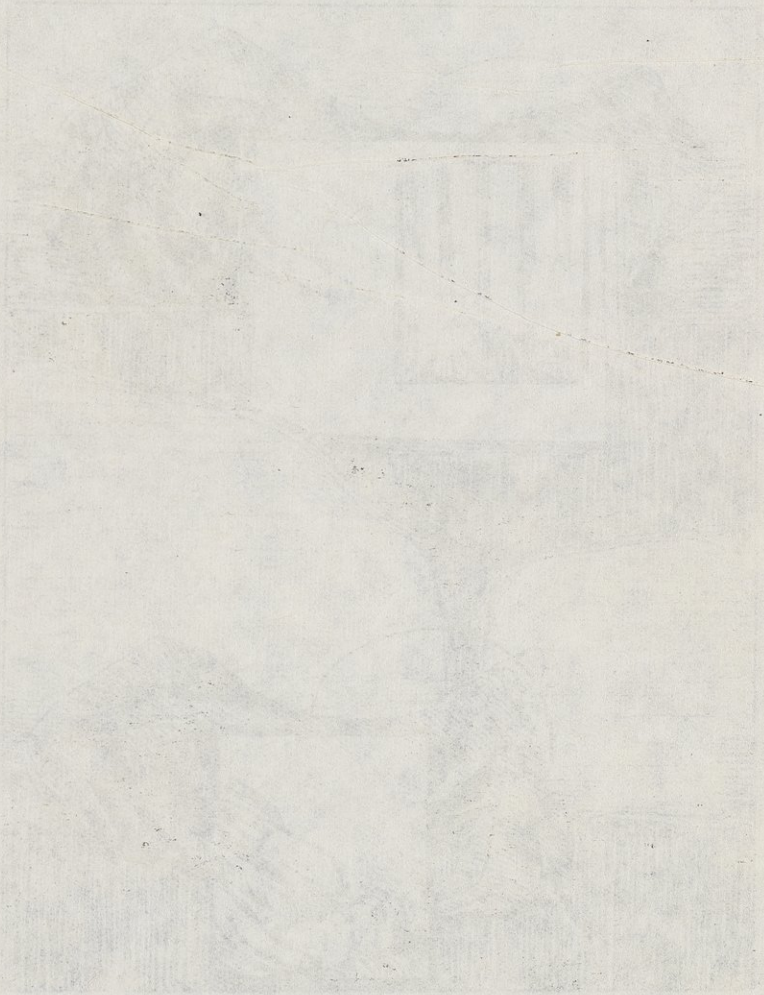

لِأَنا عشِقنا (الحسينْ)...
لقد قتلوا اليومَ بعض النساءْ..
وهذي بنادقُهم لا تزالْ...
معلقةً في الجدارْ..
تحوك لنا موتَنا... والدَّمارْ..
ــ (سجن أنصار) اليومَ،
قد أضربوا فيه... تسعون معتقلاً...
رفعوا صوَرَ (الصَّدرِ)،
واستُشهِدوا...
ــ ونحن هنا في (أبي غريبْ)،
نكتب (نشرتنا) ونوزّعها في الظلام...
وندفن تحت أَسِرَّتنا
صورةً (للامام)...
ــ قُطع اليومَ معبرُ (صبرا).
بقصف جبانْ...
وطفلٌ بها اختنق الآن إثْرَ الدُّخانْ...
ولعبتهُ لم تزلْ في الطريقْ.

ومدرسةُ (القدسِ) في (الفاكهانيِّ)
قد شبَّ فيها الحريقْ...
ــ لقد أغلقوا اليومَ (بوابة الصحنِ)
في (كربلاءْ).
وقد أعدموا ثُـلَّةً... أبرياءْ.
وما زال في (الطفِّ) يمتدّ لونُ الدماءْ
ونحن لقد أصبح اليومَ مجموعنا
(ربعَ مليون) جرحٍ وأكثرْ..
و مازال فينا...
(حسينٌ)،
و (جرحٌ)،
و (اللهُ أكبرْ)
ــ قُتِلَتْ في المعارك (مريم دَهيني)*
وكانت كَطُهرِ الندىٰ
ــ قُتِلَتْ في الزنازين (بنتُ الهدىٰ)...
ــ اصبح القصف يشتدُّ،

* مريم دهيني: مجاهدة من الجنوب الثائر المسلم.

«قنبلة» سقطتْ...،
وَأنا...

* * *

قد انقطع الخطُّ مابين (بغداد ــ بيروت)
بالقصفْ،
ولكن... قد اتصل الخط مابين (جرحي وجرحك)
بالنزفْ

(الضربةُ التي لا تقصِمُ الظهرَ سوف تُقَوِّيه)

«عمر المختار»

فِكرٌ بأسماعِ الزمانِ له صدىٰ
وعلىٰ متاهاتِ الحياةِ ترددا
أوْ ما الىٰ الجيلِ المُضاع فشدّهُ
في سيره نحو الحقيقةِ فاهتدىٰ
وأطلَّ من ألَمِ الجراح، وطيفُه
منها علىٰ قربٍ وإنْ بَعُدَ المدىٰ
وكذا اللهيبُ اذا تمربومضهِ
ريحٌ... تعالىٰ ضوؤُه وتوقدا
ظامٍ ذوت منه الشفاهُ وصبرهُ
لم يرض إلا في الحقيقةِ موردا
جمعت عليه الحادثاتُ خطوبَها
واستنفر الزمنُ الصعابَ وحشَّدا
وأطلَّ من حُجب الغيوبِ بوجههِ
قدرٌ يمدُّ الىٰ حضارتنا اليَدا
ووقفتَ أنت تردُّ من غلوائهِ
سيفاً علىٰ الفِكَرِ العِجاف تجردا
أفهمتَه أنّا اذا اشتدتْ بنا
عَزَماتنا لم نخشَ صاعقةَ الردىٰ

وبأننا إنْ جَفَّ فينا مرةً...
جرحٌ... تألقَ ألفُ جرحٍ للفِدا
نَضرىٰ علىٰ وهجِ الحياةِ ولفحِها
ونرىٰ خفوت الموتِ فينا مولدا
ويهزّنا الألَمُ المُمِضُّ... ومجدُنا
باقٍ... ومجدُ الحاقدين تبددا
ونمر نستبق الدهورَ... وعزمُنا
ماضٍ يُطاولُ في السماءِ الفرقدا
والمجدُ ما اعتصرت عليه عيونَها
أُمَمٌ... وغذّاهُ الفؤادُ وأرفدا
والموتُ إنْ غالَ المفكرَ وانتهىٰ
فكرٌ... فَعُمر (الصَدرِ) بالموت ابتدا

* * *

خَلِّ الجراحَ ونزفها فَلَطالما
يبست علىٰ خَدَرٍ وقد ضاعت سُدىٰ
خَلِّ الجِراح فألفُ ملحمةٍ لنا
لبت نداءَ (السبط) يوم استشهدا
فيها اللهيبُ يموج في أعماقها

لكنها يطفو بأحرفها الندىٰ
تلهو المبنايا وهي في رحم الرؤىٰ
وتهزُّها آلامُها أنْ تُولدا
وتجيءُ ... والفقراء ترقُبُ طيفَها
وهفت اليه قلوبُهم... لَمّا بدا
وغفت عيونُ المتعَبين وهوَّمت
أجفانُهم... أنَّ الزمان تجددا
وبأنَّهم سيمرُّ في أعماقهم
وهج اللقا... فيهدُّ عمراً أنكدا
وبأن ليلهمُ البهيم ـ إذا التقىٰ
صبحٌ... بأشرعةِ الرحيل ـ تبدّدا
وتحركت كلّ الشفاه وأيقنت
من أنَّ للبسماتِ منها...موعدا
حتى اذا احتدم المَخاضُ ولفَّها
ألَمٌ ، وعوَّذَها المؤملُ وافتدىٰ
جاءت معذَّبةً كأنَّ ضُلوعَها
مكدودة ما عاد يسترها الرِّدا
مُسِخت وكانت مثلَ بارقة الضُّحىٰ

والـــنـــور أضـــحـــى في رُؤاهـــا أَســـودا
وتـــرنّـــمـــت بـــالـــثـــأر وهـــي مَـــهـــيضَـــةٌ
مـــاهـــمّـــهـــا إن كـــان قـــاتِـــلُـــهـــا وَدىٰ
مـــا هـــمَّـــهـــا أيـــنَ انتهىٰ الحـــادي بهـــا؟
وبـــأيّ قـــافـــلـــةٍ، وأيُّ فـــتـــىً حـــدا؟
يـــا أمـــةَ الـــتـــاريـــخ في حـــلـــبـــاتـــه
ســـبـــق... ولا بـــالخطـــو يُســـبـــقُ مـــن عـــدا
هـــذا (الـــعـــراقُ) يئن وهـــو مـــكـــبـــلٌ
هَـــلّا تـــنـــاهـــىٰ في مســـامـــعـــك الـــنِّـــدا؟
هـــزي الـــيـــك بجـــذعِ نخـــلـــتـــك التي
طـــهـــرتْ وخلي مـــن تـــبـــرقـــع وارتـــدىٰ

* * *

أَلَـــمْ يهـــزُّدمـــي... وتحـــفـــر مـــهـــجتي
حُـــرَقٌ... كـــأنَّ بـــعـــمـــق روحـــي مـــوقـــدا
إنّـــي أرىٰ الاحـــداثَ تـــمســـخ صَـــفـــونـــا
كـــدراً... وتضـــمـــرُ الـــفَ ســـهـــم سُـــدّدا
أولســـتُ أنـــتَ؟ وأنـــتَ ذاك؟ فمـــا الـــذي

أو هـىٰ أصـالـتـنـا... فشـقَّ...وعـددا؟
أولم أكـن يـومـاً... بمـقـلـتـك السّـنـا
مـن بـعـد مـا أنْ كـان جـفـنـك مـوصـدا؟
أولم أكـن بين الضُّـلـوع أمـانـيـاً
بـيـضـاء... تـرسـم في سـمـاك السـؤددا؟
هـل أنـت نـاسٍ أن لـيـلـك عـنـدمـا
أرخىٰ السدول بـومضِ شـمـعـتـيَ اهـتـدى
طـيـريـن عـدنـا... حين شطَّ بـنـا الـنـوىٰ
هـذا بـكـىٰ أَلَـمَ الجـراح ... وذاشـدا
ويـروحُ والجـوع المـقـيـت يُـذيـبـهُ
حـزنـاً... فـيـفـرح اذ يـراك مـغـرِّدا
لـكـنـه يـبـقـىٰ يـئـنُّ لـشـأره...
ويظـلُّ يحـمـل في الـفـؤادِ مـهـنَّـدا
ويظـل تـعـرفـه الجـيـاعُ ... مخـلـصـاً
ويـراه رهـبـانُ الحـقـيـقـةِ مـعـبـدا
ويظـلُّ في كـلِّ الـقـلـوب مآثِـراً
ويظـلُّ يحـلـم أن يـرى فـيـك الـغـدا
ويظـلُّ ثـأرُ (الصَّـدْر) في أعـمـاقـه

جرحاً تصيح بعمقه (بنتُ الهدىٰ)

* * *

هل أنت إلا الدمعُ يحرق مقلتي
فكأن جفني من دموعي أُرمِدا
وكأن أحلامي رحيلُ مهاجِر
ظامٍ... أبت بلواه أن يتزودا
إنْ أصبح امتدت طيوفٌ صحابهِ
فيه ويقتلهُ الحنين إذا اغتدىٰ
ويظل يقرأ في الوجوه قصائداً
ما أسخن الدمع الكذوب وأبردا
انا ركبنا الدرب وهو بشوكهِ
وعرٌ... ومرَّ الغير فيه معبدا
أنا لست أنسىٰ القيدَ يأكلُ في يدي
واليومَ أرفضُ أن أكون مقيَّدا
من رفض (روح اللهِ) ألفُ هُويةٍ
عندي فصرتُ على العذاب معوَّدا
سَلْ من أباة الضيمِ، كيف تناهبت

منا السجونُ وكيف حفَّ بنا الردىٰ
سَلْها تُجِبْكَ عن العذاب يشدُّنا
شوقاً ويبعث في القلوبِ تمرُّدا
إنا أجبنا (الصَّدْرَ) صرخةَ ثائرٍ
دوّىٰ وأبرق في السماء وأرعداً
يا كاتباً بالنزف قصةَ عمرهِ
ما كان أقربَ ما تروم وأبعدا
يا سيدي يُهنيك أنَّ صدورنا
غيظٌ وقد جَفَتِ الجُنوبُ المرقَدا
لكن بي ألما يقطع مهجتي
فيظلُّ جفني بالخطوبِ مسَهَّدا
أني أرىٰ في (الرافدين) طفولةً
تذوي ويبقىٰ الغصنُ منها أجردا
وأرىٰ وجوهاً قد تناست أنها
طينٌ وراحت تستطيل لِتُعْبَدا
علمتني يا (صدر) أنْ ألجَ المدىٰ
أنْ أستخفَّ بمن أعدَّ... وهدَّدا

علمتني أن أستبيحَ مخاوفي
ووهبتني بحراً أبىٰ أن يَنْفَدا
ورسمت لي في الرفض دربَ بطولةٍ
وعرفتُ أنْ لن أستكينَ وأسجُدا
نَمْ يا حسينَ العصرِ حسبُك أننا
باقون ننهلُ من يديك الموردا
يُهنيك أن الدربَ أكمل شوطَهُ
متوثب الخطواتِ، ملتهب المدىٰ
وأقام ما أملتَ موكبَ عزةٍ
شمّاءَ تأبىٰ أن تَذِلَّ وَتخمدا
وأطلَّ (روحُ اللهِ) من حُجُب الدجىٰ
ألقاً وكان الكونُ جفناً أرمدا
شيخاً كأن عيونه ومضُ السَّنا
غضباً اذا ارتج القراعُ وأزبدا
حَسْبُ الزَّمانِ خطىٰ الثمانين التي
مدته درباً... بالدماءِ موردّا
فَرْدٌ تحفُّ به الخطوبُ وراءها
أن يلتقيها... مشرئبّاً... مفردا

(دَعْ خنجرَكَ يَغوص في صدري،
واللعنةُ على من يصرُخ)

«شكسبير»

أُلَمْلِمُ بعضَ أمتعتي وأرحلُ
مثلَ أوراقِ الخريفِ، وأرسُمُ اللُّقيا
علىٰ أبوابِ قافيتي،
وأكتبُ ألفَ أُغنيةٍ.
لها طعمُ التمرُّدِ... والضَّياعِ وأختفي
بين ابتسامة طفليَ المفجوع،
والصمتِ الثقيلِ.
وَتَمْتَمات كفنتها بَحَّةٌ مجنونةٌ مُرَّهْ.
أنا المشدودُ نحوَ الأرضِ،
وابنُ الطِّينِ،
أسألُ أُمّتي: ما الفرقُ
بين الفحمةِ السوداءِ والدُّرهْ؟
يحوّلني السؤال علامةَ استفهامْ
أحملُها مدىٰ الأيامْ،
والأعوامْ،
أحلُمُ في إجابتها ولو مَرَّهْ.

* * *

وحيدٌ أنتَ يا وتري
سجينٌ أنتَ،
لا صَحبٌ سوىٰ القضبانِ والجُدُرِ
وحيدٌ أنتَ،
حتى حلمك الآتي بِلا صُورِ
غريبٌ،
أنكرتْ خطواتكَ الطُّرُقاتُ،
شَقَّتْ صدرَكَ الآهاتُ،
غَطَّتْ وجهَكَ اللَّعَناتُ،
يا قِدّيسةً عذراءَ،
تَرْجُمُها يدُ الغَجَرِ.
ضَياعٌ أنتَ،
خوفٌ أنتَ،
صَمْتٌ أنتَ،
في أعماقِ هذا العالَمِ الحَجَريّ.
ظننتَ بأن هذا الغيمَ هَطّالٌ من المطرِ
ظَننتَ جنائزَ الموتىٰ
غداً تأتي من السَّفَرِ.

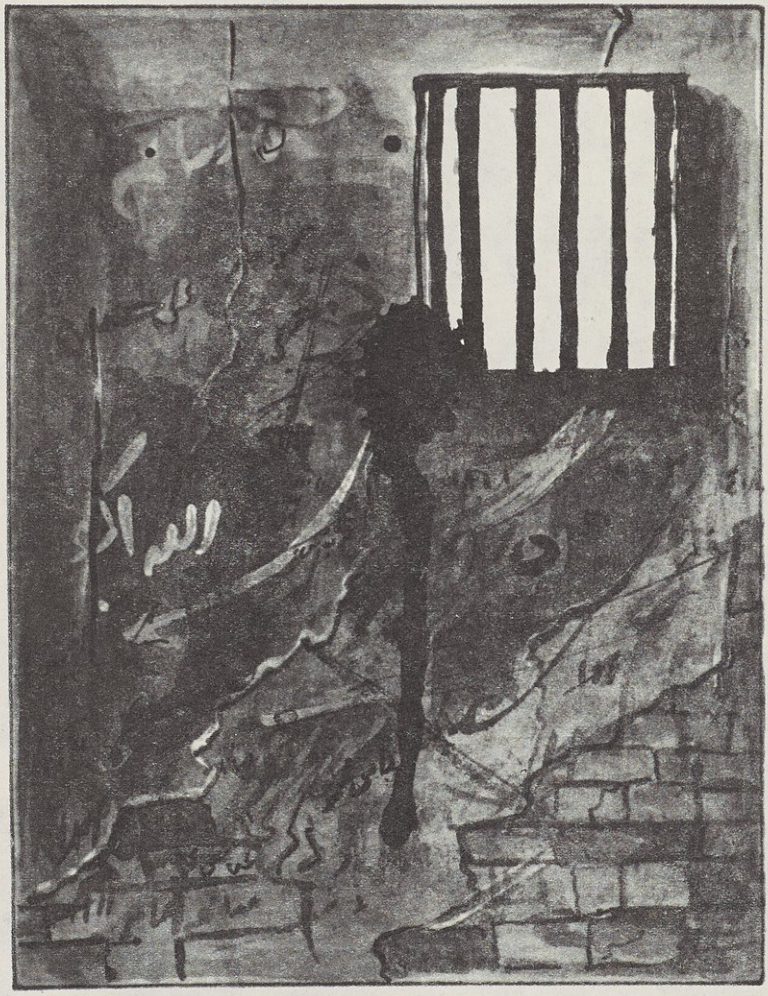
الله أكبر

الى أنْ باعك التُجّارُ،
أَخفَتْ وجهَها السمّارُ،
والبحّارُ،
أَضْحكُه تَحَطُّمُ وجنةِ القمرِ.
وأضحكُه بأنكَ تشتري اللحظاتِ بالعُمرِ.
وأضحكه بأنك تغرسُ الاشجارَ،
ثم تعودُ أوراقاً وأغصاناً،
بِلا ثَمَرِ.

* * *

غداً إنْ هَزَّتِ الاقدارُ رايتَها
وَمَدَّتْ سيفَها في الجرحِ،
وارتعدت عيونُ الخائفينَ،
وَهَزَّني أَلَمي.
وصاح فمي.
غداً إنْ مَرَّ تاريخُ الرجالِ،
وَدَوَّنَ الأَحداثَ،
لم ينسَ ابتسامةَ طِفليَ المفجوعْ.

لم ينسَ العيونَ المتعبات
ولا شفاهَ الجوعْ.
لم ينسَ احتضارَ أبي.
ولا صَرَخاتِ أُمي،
حين يُكوىٰ ظهرُها المقروحُ باللَّهبِ.
ولا تلك التي للآنَ تنتظِرُ
لَعَلَّ يعيدُهُ القَدَرُ
وتسأل: يا بريدَ الريح،
هل خبرُ؟

* * *

غداً إنْ مَرَّ تاريخُ الرجالِ،
وَمَرَّ تاريخُ العذابِ،
وَأَلفُ فَصْلٍ فيهِ،
بعضُ فصولِهِ السوداءْ،
أمواقٌ بلا عينينِ،
أفواهٌ بلا شَفَتينِ،
أَجسادٌ بلا كَفَّينِ،

آلافٌ من الأشلاءْ.
بعضُ فُصولِهِ زنزانةٌ محروقةُ الجدرانْ،
مذبوح بها الانسانْ.

* * *

يغوصُ الخنجرُ المجنونُ في صدري
فلا أبكي،
ولكن منكَ تُبكيني زماناً
وَخْزَةُ الشوكِ.

* * *

يظلُّ (السندبادُ) يطوفُ يطوي البحرَ والجبلا
فيا (مدنَ النُّحاسِ) تَلَقَّفي قَدَميهْ،
كَمْ في حلمِكِ ارتحَلا،
وَخَلّي (الكنزَ) بين يديهْ،
جاءَ إليهْ،
أَتعبَهُ مدىٰ التَّطْوافْ.
فَهوَ يَخافْ،
أَنْ يلقىٰ (بناتِ الجنّ) بين الموجِ والأَجرافْ.
وهو مسافرٌ لا يعرفُ الغَزَلا.

* * *

يَجيءُ دَمي،
ويجرُفُ صخرةَ الصمتِ...
يجيءُ دَمي،
ويغسل جُثتي الملقاة،
يحفر في عيوني الحلمَ،
يَكتب في دفاتر عمريَ المسروقِ،
ملحمةً من الذكرىٰ،
فَأُنكرُ عندها موتي،
وأصحو في ضبابِ الفجرِ،
أَنفُضُ من ترابِ القبرِ،
أحملُ (لعبةَ الصَّبر)،
أَبُثُّ لها من الشكوىٰ،
لعلَّ اللعبةَ الصمّاءَ،
تسمعُ مَرَّةً صوتي.
أَبُثُّ لها رُكامَ الحُزنِ والبلوىٰ.
أَلا يا (لُعبةَ الصَّبر):
لما ذا أَجرَعُ السُمَّ الزُّعافَ؟
وأَحتسي من خوفِ أطفالي،

وغيري من دَمي يتناولون
المَنَّ والسَّلوىٰ؟
ألا يا (لُعبةَ الصَّبر):
أنا الهَمُّ (العراقيُّ) الذي يمتدُّ،
والحُزن (الحِجازيُّ) الذي يشتدُّ،
والبيتُ (الفِلسطينيُّ) إذْ ينهدُّ،
يحلم أنْ تُشيده يدُ النَّصرِ.
ألا يا (لعبةَ الصَّبر):
عيونُ الأهلِ في (لُبنانَ) تبكيني
وأصواتُ الرجال بـ(صُور)،
تَحمل روحي الغَرثىٰ الى غاباتِ زيتونِ.
و (بيروت) ــ التي تَعبت ــ
رمت أبناءَها في جوفِ (تِنّينِ)
وراحت تكتبُ المأساة
فوق الرملِ والطّينِ.
وعندَ اللَّيلِ،
ألقت نفسَها في حِضْنِ مجنونِ.

* * *

أَلايا (لعبةَ الصَّبرِ):
ولو تَدرينَ
ما أَسمىٰ سَجايانا!
أَقمنا ألفَ مأَدُبةٍ
لِنأكلَ لحمَ موتانا!

* * *

ألايا (لعبةَ الصَّبرِ):
كفىٰ ما قلتُ من خبري.
كفىٰ ما قلتُ،
أخشى أن تَمَلّيهِ،
وَتَنفجري!

* * *

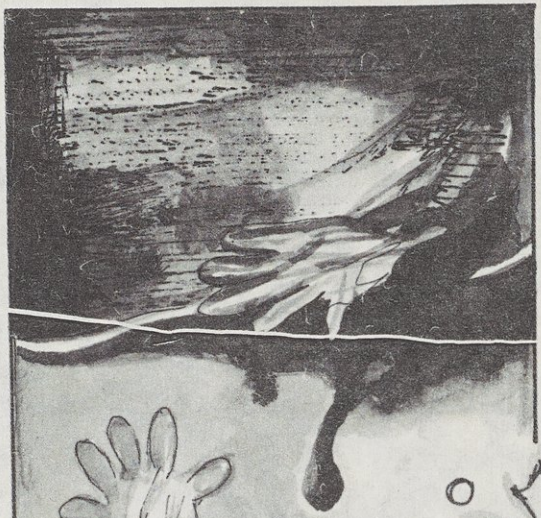

الطف ...

الجراح ...

الرفض ...

الى الجرح المقدس الذي مازال يتدفّق...

الى الامام الحسين (عليه السّلام)

رسم الجرح على الليل صباحا
وارتدى من ألَقِ الخُلد وِشاحا
وتحدّى الصمتَ في ترتيلةٍ،
لم يَبُحْ الاّ وحدُّ السيفِ باحا
وتخطى شوكةَ الدرب، وقدْ
نتئت حقداً، فغطّاها جراحا
ظَمِئَ المجدُ... فأضحى غيمةً
مطرت في (الطَّفِّ) جوداً وسماحا
سار والدنيا على غفوتِها،
تُثقِلُ الأيام حزناً ونواحا
يوقظُ الموتى، ويدعوها الى
موكبِ صعبٍ أبى أنْ يُستباحا
كلّما صاح، علا منه صدى
يُسمعُ الدهرَ، فلَبّاهُ وصاحا
واذا ما عَزمَهُ مدَّ الردى،
عصفتْ منهُ منايَاهُ رياحا
عجبت منهُ البلايا حاسِرا

يُرعبُ الموتَ ويجتاحُ الصِّفاحا
لم يكن في قلبه غيرُ الهدىٰ
مطمحاً... فاتخذَ الصبرَ سلاحا
وخضيباً ما هَوىٰ إلاّ وقدْ
شَدَّ فيها لمعُ عينيهِ اقتداحا
يتلظّىٰ ظامِئَ القلبِ، وفي
شفتيه يشرقُ البِشْرُ انشراحا
لم يَرُعْهُ أنها جدَّت وغىٰ
وبها صارِمُهُ يلهو مزاحا
صافحَ الرملَ بخديهِ ومِنْ
قبلِها صافحَ بالقلبِ الرِّماحا
وأبىٰ الاّ بأن يَظمىٰ، وفي
راحتيهِ الموتُ يسقيه قَراحا
وذوىٰ في غبرةِ النقْع، كما
في ظلام الكون قرصُ الشمس طاحا
أفردته بُومُ الدهرِ، علىٰ
أنه نسرٌ يقاويها جَناحا

كُـتـبَ الـرفضُ بـه مـلـحـمـةً
كـلُّ جـيـلٍ يـتـلـقـاهـا كـفـاحـا

* * *

سَـلْ رمـالَ (الطَّـفِّ): هَـلاّ ذَكَـرت
وقـفـةَ الـركـبِ الحـجـازيِّ صـبـاحـا
يـوم هَـبَّـتْ لـلـمـنـايـا عُصبةٌ
كـالجـبـالِ الشُّـمِّ تـأبـىٰ أن تُـزاحـا
خـفـق المـوتُ عـلـىٰ أحـداقِـهـا
وبـراهـا لـلـمـلِـمّـات قِـداحـا
لاحَ طـيـفُ الـنـصـرِ في وثـبتـهـا،
غـيـرَ أنَّ الـقـدرَ المحـتـوم لاحـا
كـلُّ ذي جـيّـاشـةٍ حُـبّـاً، يـرىٰ
بين هـاتـيـكَ الظُّـبـىٰ غِـيـداً مِـلاحـا
ويـرى إمـا يـسـاقـيـهِ الـردىٰ
قـدرٌ أو يـرفض الـذلَّ جـمـاحـا

* * *

يا رمالَ (الطَّفِّ) هلْ هَوَّمتِ في
عَبَقٍ من وَدَجٍ كان مباحا
فافخري أنَّكِ وَسَّدتِ العُلا
وعلىٰ كثبانك الصبرُ استراحا
وبكِ اختطَّ (الحُسَينُ) المنتهىٰ
وابتدا منكِ الى الخُلدِ الرواحا

* * *

عَجَبٌ يومك مدَّ الدهرُ في
ساعةٍ منهُ، ومدَّ الكونُ ساحا
واستطالت قِمَمٌ لولا القضا
لأَبت أن تُرتقىٰ أو أن تُطاحا
عشرةٌ، لو جَمَّعَ التاريخُ من
غدرِه، مازاده عنها افتضاحا
حين مَدَّت يدَها مجنونةً
بالخطايا... تَربت للدهرِ راحا
وأتت يوماً بها لايَمَّحي
عارُها، أو تشربَ الموت صِراحا
وُلدت شوهاءَ لايعرفها

زمنٌ، أو أنها جاءت سِفاحا
زحفَ البغيُ بها، لاهَمَّ في
زحفهِ الاّ بأنْ يُردي الصَّلاحا
رضي الموتَ، ولم يُعطِ يداً
لِمُسوخ تملأُ الدنيا نِباحا
وكذا من يرفضُ الذلَّ، يكن
موتُهُ دون أمانيهِ نجاحا

* * *

يارمال (الطفِّ)، ماذا كان لو
فُرِشت أرضُكِ نَوْراً وأقاحا
أو تندَّت شفةٌ يابسةٌ،
طالما منها شذا القرآنِ فاحا
أو تهادت سحبٌ، في ظلّها
خدرت كلُّ الجراحات ارتياحا
يخرس الموتُ شفاها أطبقت
وجراحاتُ الهدىٰ كانت فِصاحا
أو لم يَنشرْ علىٰ ورد الربىٰ
من بقايا قلبهِ الطُّهرِ لقاحا؟

فأفاقت، وَرَبَتْ مثقلةً
بثمار النزف، يجتاحُ اجتياحا
وبها يَغسل بالنور حمىً
للخنىٰ كانَ وللخزي مراحا
فهبي أنك وجداً بعده
مُتِّ، أو في مَسمعيكِ الدهرُ ناحا
هوباقٍ، فإذا مسَّ العُلا
حادثٌ، شدَّ الجراحات وصاحا

(ان شعبَنا لا يثقُ بمجلسِ الأَمن المصطَنع والمعلومِ وضعُهُ منذ البداية)

«الامام الخميني»

القلبُ في «كراسة الرسم» التي يرسمها الاطفالْ
ملوّنٌ كنصف تفاحهْ.
والقلبُ في رسائل العشاقْ،
محطّمٌ يملأ بالنزيف أقداحَهْ.
والقلبُ في مذكّرات ثائر جريحْ،
كزورق قد حطّم التيارُ ألواحهْ.
والقلبُ في جنازة الشهيدْ،
حمامةٌ بيضاء،
عادت تسكن الواحهْ.
والقلب في عراقنا الحزينْ،
يرمُقُ من شبّاك زنزانتهِ السوداءْ
مشانق الاعدام في الساحهْ.
والقلبُ في صدورنا تغمره البغضاءْ
القلب في صدورنا خُواءْ.
شَيءٌ بلا عطاءْ.
القلبُ في صدورنا أصبح لا يدُقْ.
حتىٰ علىٰ جراحنا الكثار لا يرقْ.

حتىٰ وان حقَّ له أن يدفعَ الدماءَ،
في الشريانْ.
فَخَفْقَةٌ بالحبِّ والحنانْ.
لا تحقْ!..
القلبُ في صدورنا محترقٌ...
كغابةٍ جرداءَ تحترقْ.
ويصرخُ التاريخُ في وجوهنا:
الحبُّ من قلوبكمْ سُرقْ.
لكننا في قمّة الصراعِ ما عُدْنا به نثقْ!
وصاح في آذاننا:
القلبُ من صُدوركمْ سُرِقْ.
ولم نزل ندور في ذواتنا فقطْ!
نسألُ: من قام؟
ومن سقط؟

* * *

لماذا تخيف رؤانا حبالُ المشانقْ؟
لماذا نهاب لهيبَ الحرائقْ؟
ويقطَع كَفَّ الرجولة سارقْ؟
ويُعبدُ في (قصرِ) بغداد فاجرْ؟
فَـ(فرعون) رَبُّ البلادِ،
و (موسى بن عمران) ساحرْ؟
وَيُقتَلُ ظلماً نبيٌّ،
وَيُصلبُ شاعرْ؟
لماذا...؟
لِأَنا...
كرهنا دُخانَ البنادقْ
عشِقنا دُخانَ السكايرْ!

* * *

مَنْ لم يُكَوِّر الحديدَ
في يديه «قنبلهْ»
لا بد أن يصيرَ
بين معصميه سلسلةْ.

* * *

لستُ أنا القادمَ يا حبيبتي...
أرجوكِ لا تنتظري...
تَصَوَّري،
أني هنا آكلُ لحم إخوتي...
وهم بخير حين يقضِمُونَ بعضَ جثتي...
تَصَوَّري...
بأننا إنْ شُحنت صدورنا بغيظنا،
نلهو بشتم بعضنا!
تصوري،
آنّـا هنا كالطبل فارغونْ.
كمسجد القرية في العراق فارغونْ.
أرجوك لا تنتظري؛
لِأَننا بلازمنْ.
تصوري،
أنّـا نسِينا كيف نستعملُ لا... ولم... ولن!
ما أسعد الذي يبيع جرحه بلا ثمنْ!
تصوري...

* * *

وتنقل المصادر المقرَّبهْ:
(الشِّمرُ) ها قد سجّل اعتذارهُ
عن مقتل (الحسينْ)،
في الأمم المتحدهْ!
و (القدسُ) ها قد هَوَّمتْ
علىٰ غِناء الأُمم المتحدهْ!
(لبنانُ) ها قد خَلعَت ثيابها
على فراش الأُمم المتحدهْ!
وتنقلُ المصادرُ المقرَّبهْ:
أنَّ رجالَ الأمنِ في الميناءْ.
قد أغلقوا الدروبْ.
وألقوا القبضَ علىٰ أُغنيةٍ
ثائرةٍ تحاولُ الهروبْ.
وحوكمت بالعدل!! في (لا هاي)
فَأُعدمتْ!
وَسُلّمتْ جثتُها للأُمم المتحدهْ!

وتنقل المصادر المقرَّبه:
أن (الصليبَ الاحمرَ الدوليَّ) ما يزالْ.
يبذلُ ما في وسعه ليوقف القتالْ،
في غابة بين فَراشتينْ!
ثم يعود حاملاً (نَقّالةَ) الجرحىٰ
لِأرض (الطَّف).
وجرحُها في قلبها ماجَف.
فيدفن القتلىٰ،
وينسىٰ جُثَّةَ (الحسين)!

* * *

إنَّ ركعتين يُصليها العبدُ لِربه، لابُدَّ أن يكونَ وضوؤُهما من دَم

(الحَلاّج)

يا نازفَ الجرحِ هوِّن بعض ما تجدُ
كفاك أنك أمسٌ حافلٌ... وغدُ
كفاك أنك ركب كلما تعبت
منه الخُطىٰ شدَّ من ايمانه الجَلَدُ
كفاك أنك تعطي الحرف بهجته
ولهبةُ الهَمِّ في جنبيكَ والحَرَدُ
ولستَ أوَّلَ من ضاعت قصائدُه
ولستَ أوَّلَ من ضاعوا ومن فُقِدوا
خُذْ بين كفيكَ أحلامي تَجِدْ غَضَبا
يطفوبها.. ويغطي وجهها الكَمَدُ
حَدِّقْ بعينيَّ هل تلقىٰ سوىٰ أَلَمٍ
حملته رغم أني الصادحُ الغَرِدُ
حدِّقْ تجد ألفَ مأساة أُدافعها
لعلّها عن بقايا القلبِ تَبتعدُ
كأنّها بينَ أضلاعي مُسَمَّرةٌ
بصخرةٍ قيل عنها أنها كَبِدُ
أنا الغريبُ تخافُ الارضُ من شبحي
موزَّعٌ بينها... ما لَمَّني بلدُ

قصائدي من عيونِ الناس أكتبها
فتنطوي في رؤاها النارُ والبَرَدُ
أصيح بالزمن الغافي... فينكرني
كأنما حَزَّ في أجفانِه الرمَدُ
أصيحُ: يا وَمَضات الفجرِ لي أملٌ
متىٰ أرىٰ الرفضَ في الاحداقِ يَتَّقِدُ
يا شاطِئ البحر خُذني موجةً طهُرت
فلست أقبلُ أن يغتالني الزَّبَدُ
ظامٍ ولي شفةٌ يا بحرُ يا بسةٌ
أعيذُ طُهرَكَ أنْ أذوي ولا أَردُ
ولستُ أخشاكَ جرحاً تحت خاصرتي
وفي الفؤادِ جراحٌ مالها عددُ
ولستُ أحلمُ أنْ أغفو علىٰ رغدٍ
فلستُ أعرفُ ما الدنيا؟ وما الرَّغَدُ؟
لكنني لستُ أنسىٰ أن محنتنا
كبيرةٌ... تتلاشىٰ دونها العُقَدُ
هَبْنا تباعد مِنّا الخطوُ في عَثَرٍ
جرحي لجرحكَ يدنو، ليس يبتعدُ

ورغم ما حملته العينُ من عَتَبٍ
ففي فؤادي غيرَ الحُبِّ لاتجدُ

* * *

يا نازف الجرح هَوِّنْ لفحَ عاصفةٍ
واقحمْ... فَألفٌ علىٰ أعقابِها مددُ
وخلِّ عينيكَ مثل البحرِ صاخبةً
والعنْ من استسلموا مِنّا ومن قَعَدوا
وانثُرْ رمادكَ في أحضانِ مرضعةٍ
نامت وأطفالُها في خلسة وُئِدوا
واهزأ بزيف أمانينا اذا عقمت
ولم نزل نترجّىٰ أنها تلدُ
واكتب على حدَقِ التاريخ ملحمةً
لم تمحَ الآ وتبدو الأسطرُ الجُدُد
حمراءُ لوَّنَها النزف الذي وهبت
أوداجُنا والجلودُ الزرقُ والصفدُ
ان الرجالَ اذا ما هوَّمت خدراً
ماتت وما مسَّ حزناً قبَرها أحدُ
والرافضون نما (الصُبَّيرُ) في دمهم

لكنهم رغم أنياب البلا خَلُدوا
هناك حيث مدارُ الشمسِ حلبتهم
وها هنا كخيولِ الطين.. نَطَّردُ
هناك تركع هامُ المجد دونَهمُ
وهاهنا كلُّ قومٍ عِجلهم عَبَدوا!
هناك حيثُ رُواءُ الروح من ظمأٍ
وها هنا الألمُ المدفونُ... يبتردُ
يا غصّبةَ اللهِ صيحي في مسامعنا
فقد يحركُ نفخُ الصُّورِ من رقدوا
يا متعَبون أفيضوا الحقدَ في زمنٍ
فيه يشدُّ حبالَ الشنق مَنْ حَقَدوا
تاريخُكم ما أراقوا في ثراه دماً
إلاّ وقامَ عليه الركنُ والعَمَدُ

* * *

مواكبُ الأمسِ شَدَّ الحبُّ رايتها
وبوركت رايةٌ بالحبِّ تنعقدُ
مرّت بدرب الدم المطلولِ ما ارتهبت
ذُعراً.. ولا خطوُها في الوحل يرتعدُ

يقودها (الصَّدْرُ) نحو اللهِ مختضباً
وخلفَهُ شهداءُ الحق... تحتشدُ
يا (صَدْرُ)عذراً فغيرَ النصلِ ما غرسوا
في قلبنا... وسوىٰ الاصرارِ ما حصدوا
وأنتَ تعلمُ أنّا لا يروِّعُنا
طيفٌ بأنا غداً نُبلىٰ وَنُضْطَهَدُ
ألستَ علمتنا تاريخَ قافلةٍ
تأصلت، فَخُطاها في السُّرىٰ وتدُ
اللهُ يا قلبَك القدسيَّ ما التأمت
جراحهُ فهو في الآلام منفردُ
يا شاطِئاً من بُحورِ الله ما اقتربت
منه السُّراةُ هوىً... إلاّ وقد بعدوا
يا نفحةَ الروحِ في أوصالِ متعَبةٍ
تَعبُّ من دمها الدنيا... وتزدردُ
تأمَّلَتْكَ مَقيلاً تستظِلُّ بهِ
عندَ الهجيرِ اذا ما غالها النكدُ
وعوّذَتك وشدَّتْ من أضالعها
تَمائماً... رُدَّ منها السحرُ والحسدُ

تركتها ومسوخُ الليلِ تعبث في
أشلائها والمنايا حولَها رَصَدُ
يا (صَدْرُ) أنْبيك والشكوىٰ تُقَطِّعُني
حتىٰ دماؤُك فيها شملُنا بَددُ
يا (صَدْرُ) ألفُ يدٍ مُدَّتْ مبايعةً
على المسير فهل وَفَّتْ اليك يدُ؟
لوكان فينا وفاءٌ لالتقت زُمَرٌ
على خُطاكَ ... وَشَدَّ الساعدَ العَضُدُ

* * *

قِفوا أحدِّثكُم سِرّاً بأنَّ لنا
أمنيّة كَذبَتْ دوماً بما تعدُ
إلاّ الجراح ففي أعماقِها صدقت
كلُّ النُبوءاتِ لم يغدُرْ بها الأبدُ
وما سمعنا نبياً لم يَحُزَّبِهِ
شوكُ الطريقِ ولم يُصلبْ له جسدُ
مدّ الشهادة عهداً فالرجالُ علىٰ
سوىٰ الدمِ الحرِّفي الأوداجِ ما عُهدوا
ويكبر الجرح مِحراباً به ركعوا

مخضّبين.. وفي أعماقه سجدوا
تُطوّف الشمس فيه عالماً رحباً
مالفّعوا وجههُ خوفاً وماضمدوا
يرفرفون على أحداقنا ألقاً
حُلْواً اذا طال في إغفائنا الامدُ
وعادت اليومَ (بدرٌ) وهي هادرة
لتلتقي غضباً جالت به (أُحُد)
يا ذاهبونَ بعيداً لا أُودّعُكُم
وصوتكم في ضجيج الزيف يُفْتَقَدُ
شقُّوا القبورَ فَضَيرٌ أنْ تنام علىٰ
رمالها... نغماتُ الحبّ والرشدُ
عودوا فما زال ركب الثأر محتضناً
(الكربلاءَ) طريقاً ليس يَتَّئدُ
عودوا (فبغدادُ) ألقت ثوبَ عزتها
علىٰ الرصيفِ... لمن راحوا ومن وفدوا
عودوا فما زال في الدنيا (أبو لهب)
وخلفه ألفُ جيدٍ حبلُهُ مَسَدُ

* * *

غنيتُ جحفلَ (روحِ اللهِ) ملحمةً
سَمَتْ عَلىٰ كُلِّ ما قالوا وما سَرَدُوا
جاؤا يُكَبِّرُ (جِبرائيل) خلفَهم
وجرحُ ألفِ نبيٍّ بعدهم سَنَدُ
وعفَّروا جبهةَ الدنيا وقد شمخت
فما بريق أمانيها... وقد زهدوا
لَبَّوْا (حسيناً) على أصداءِ صرخته
كأنهم بجراح (الطفّ) قد وُلِدوا
لم يشهدوا (كربلا) لكنهم عبروا
بحراً من النزف فيه (كربلا) شَهِدوا
فليخسأِ (الشِّمْرُ) لم يقضِ (الحسينُ) بها
ونجلُهُ اليومَ فيها ماردٌ أَسَدُ
شيخٌ تحيط به الدنيا وَعُدَّته
في كلِّ ما يمكرون الواحدُ الأَحَدُ
يا سيدي. ليس بِدعاً أَنْ تَمُرَّ بنا
أصالةٌ وفتات الزيف ماحشدوا
وليس بِدْعاً بأن تروىٰ مرابعنا
والحاقدون صديدُ الخزي ما وردوا

يـا (دجـلـةَ) الـفـتـحِ خَـلِّ الـفـجـرَ مـوعـدَنـا
وهُـمْ على غـيـرِمـوتِ الـرعـب مـا وُعـدوا
شُـدِّي الـىٰ يـومـك المـوعـود رايـتَـنـا
وَأَغـرِقِي في وحـولِ الـعـارِ مَـنْ جـحـدوا
(سـلـمـانُ) عـادَ فـكـونِي في (مـدائـنـهِ)
انشـودةً رددهـا الجـد والـولـدُ

ثرثرة في ساعة الصفر

(ولا تكونوا كالتي نَقَضَتْ غزلَها من بعد قوةٍ أنكاثاً)

«القرآن الكريم»

يَمُرُّبِنا صوتها
كهبوب العواصفِ،
يقتلعُ الصمتَ،
يحتزُّ أَوْرِدة الخوفِ،
يمسحُ لونَ الترابِ
بلون الدّماءِ،
ويعزف أنشودةَ الروح في المقبرهْ.
فتهتزُّ أشلاؤنا،
والرصاصةُ مازال بارودها هائجاً،
فنعبئُ أصحابنا؛
ألعذاباتُ في القلبِ
والهمُّ ميمنةً صار،
والرفضُ في الميسرهْ.
ــ متى (ساعةُ الصِّفْرِ)؟
ــ في آخر الليلة المقمرهْ.
ــ ومن يتقدم في البَدْء؟
ــ أنتم...

ـ لماذا؟ ... وأنتم!
ـ لِأَنّا كذا...
...والرصاصة مازال بارودها هائجاً،
وتكلم هذا وَبَيَّنَ موقفهُ،
صارماً...
حاسماً...
وتعرض هذا بقولٍ لِذا.
والرصاصة مازال بارودها هائجاً،
والجميعُ ادَّعىٰ... أَوْ هَذى.
في الصدور استوىٰ غضبٌ،
والرصاصة أصبح بارودها هادئاً،
والعيون انتشىٰ برُؤاها القذىٰ
وخلا الجَوُّ للبعض في (مَعْمرٍ)
فأعادوا لنا قصة (القُبّرهْ)
والرصاصةُ أصبح بارودها ميتاً،
حيث مرت بنا (ساعةُ الصفرِ) خجلىٰ،
وقالت: سلاماً سلاما
كفىٰ ثرثرة!

* * *

أَدِرْ طرفاً الى (جمرانْ)
حَدِّق في زوايا بيته الطينيّ،
ــ عَفْواً ــ كوخه الطينيّ،
حَدِّقْ في عباءته التي مازال يلبسها...
ومنذ مجيئه للآنْ.
أَدِرْ وَجهاً الى (جمرانْ)،
تجد (عمار) يمسح جرحَ (صفين)
ويَنزعُ عندها أكفانَه
(سلمانْ).

* * *

قفوا حتىٰ أحاكمكمْ؛
أنا التاريخُ
أرسم خطوكم في «محضرٍ» عندي.
أنا ابن المتعَبين،
أنا ابن ذاك الطين والبردي.
أنا الفقراءُ والشهداءُ والاطفالُ والأَسمالُ
من أجداد أجدادي ومن ولدي
ومن كانوا... ومن هم حاضرون اليوم، والآتون من بعدي

قفوا حتىٰ أحاكمكمْ،
«ولائحة» اتهامكمُ ستبدي اليومَ
ما تبدي؛
الطيرُ تهاجر أسرابا
والنمل يعيش جماعاتٍ،
ويسير حثيثاً أسرابا.
والحمر الوحشية في الغابِ
تروح وتغدو أسرابا.
والسمك البحريُّ يسافرُ
في الموج الصاخب أسرابا.
والبجع الطافي اذ يلهو
في سطحِ البركةِ أسرابا.
وغزالاتُ الوادي تأوي
للرمل وتركض أسرابا.
الاّ أنتمْ!!

رغم التاريخِ،
ورغم النزفِ،
ورغم الهدفِ الواحدِ،
عدتم أغرابا!

* * *

قفوا حتىٰ أحاكمكمْ
وأصدرَ حكميَ العادلْ.
وأصرُخَ في وجوهكم جميعاً:
أنتمُ المقتولُ والقاتلْ.

* * *

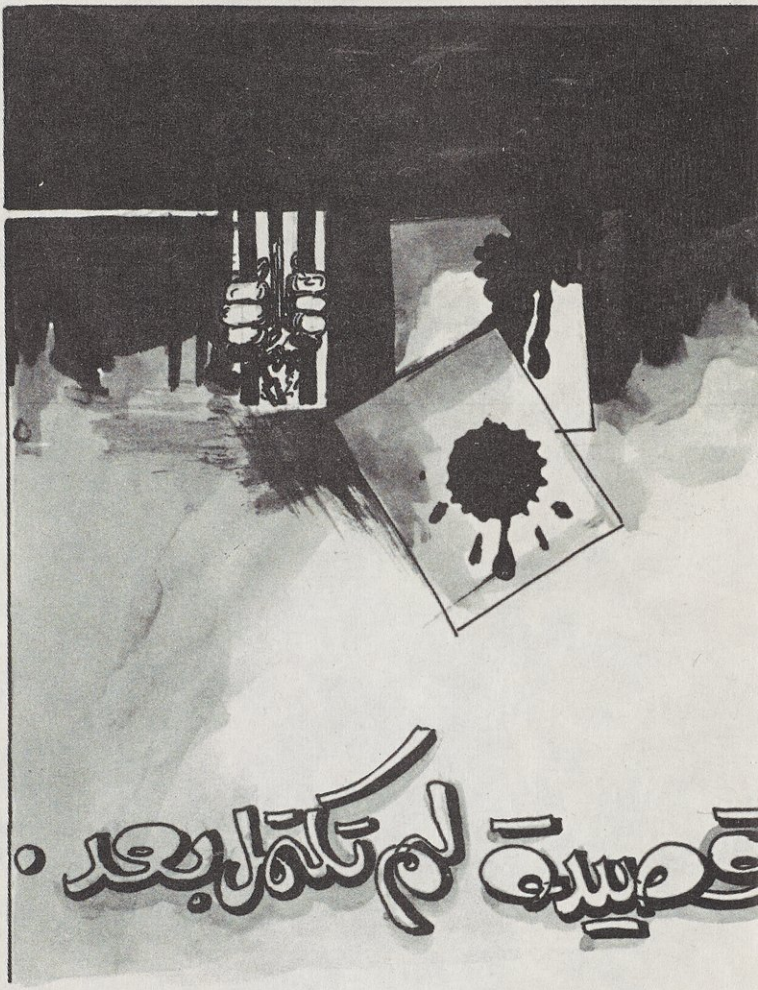

قصيدة لم تكتمل بعد ...

الى مدينة (كركوك) الدامية

الى (هيروشيما) الثمانينات

قدرمثلما تريد السماءُ
أن نضحي وأن تسيلَ الدماءُ
قَدَرٌ، أننا تضيع بدنيانا
صفاتٌ وتنطوي أسماءُ
وتذوبُ الشموعُ في هدأةِ الليلِ
لتأتي من بعدها الظلماءُ
وتمرَّ السنونَ وهي صعابٌ
وتمرَّ الأيام وهي بِطاءُ
ويمرَّ التاريخُ يسأل عنا:
أين ضاعت سيوفنا الحمراءُ؟
اين ضاعت قوافلُ الرفضِ تترى،
صوتُ جبريلَ في رُباها حِداءُ؟
أين أضحت وجوهها السمرُ؟
... أنّى تتوارى السواعدُ السمراءُ؟
قَدَرٌ أنَّ بعضنا يقضِم القيدُ
يديه، وبعضنا شهداءُ
أن يكون الفداءُ بعضَ عطايانا

وقد بيعَ لللهِ الفداءُ
فاشهدي يا سماء أنا سنبقى
وسيبقى طريقنا يا سماءُ
وسنبقى مادام يصرُخ في الدنيا
(حُسينٌ) تضمه (كربلاءُ)

* * *

وعظيم أن تستبيحَ حمانا
أزماتٌ، يجلُّها العظماءُ
فلمن يُخلقُ الرجالُ اذا لم
تُلقِهم في لَهاتها الارزاءُ؟
واذا لم يرَ الشُّجاعُ عذاباً
فهوفي الذلّ، والجبان سَواءُ
واذا لم يمرَّ نحوَ البلايا
لم يمحِّصْهُ للحياةِ البلاءُ
نحن ندري أنَّ الطريقَ طويلٌ
وهو يدري بأننا أكْفاءُ
نحنُ سِرنا، لاالدربُ أنكرَ
أصداءَ خُطانا ولا احتوانا العناءُ

* * *

يا شفاهاً ماضاع منها هتافٌ
ونفوساً مانال منها الفناءُ
وشباباً مَدَّت من الدمِ تاريخاً
طويلاً، فالموتُ فيه بقاءُ
وفماً صارخاً الى اليوم، مازال
يصُمُّ الاسماعَ منه النداءُ
يتعالى في افقِ (كركوكَ) لونٌ
دمويٌّ، ولوعةٌ وبكاءُ
ونزيفٌ مازال في كلّ يومٍ
تتلقاه قلعةٌ شَمّاءُ
وعيونٌ تذوبُ وهي دموعٌ،
وقلوبٌ تذوب وهي ظِماءُ
في وجوه الصغار عَتْبٌ طويلٌ،
وبقلب المعذَّباتِ رجاءُ
غيرَ أنَّ (التسعينَ) تنتظر الزحف
ليعلو في القادمين اللواءُ
وستبقى (البشيرُ) تحتضن الشوكَ
بدربٍ مرَّت به الانبياءُ

صبيحة الزبد والحجر

بغدادُ صمتٌ واحتضار ليلُها
طحنت بقاياها (المغولُ) وخيلُها
بغدادُ تذهبُ في ضبابِ الموتِ،
ترفع رايةً قد مزّقتها العاصفاتُ،
وراعها طيفُ الغرقْ
بغدادُ، لونُ الحبِّ في شفتي صباياها احترقْ
لاشيءيملأمقلتيها غير اشواكِ الأرقْ
أجراف دجلتها يراودها الجفافُ فلاصدىٰ
عصفورةٍ فيها،
ولا جنح بضفّتها خفقْ
أحلامُها الشوهاء يذبحها القلقْ
والشمسُ يمضغها الغسقْ
ووراء امواجِ الأفقْ
تتراقص الأشباحُ،
تسكرها الدماءُ وسيلها
بغدادُ، موتٌ ليلُها

* * *

بغدادُ يحفرها الأسىٰ
هذا الجراد يمرّ في كلّ الحقولِ،
يشقّ قلبَ الأرضِ،
يمسح لونها الورديَّ،
يقضم كل مالاقاهُ،
يقضم كل من لاقاهُ،
يحفر في العيونِ من الصباح الىٰ المسا
بغدادُ تفقد أفقها الحلوَ، النديَّ، المُشمسا
واللاهثون وراء أطيار الشواطئ ،
يذبحون النورسا
ويلطخون العرشَ،
عرش الهٰها المجنونِ،
من دمِ ألف (تمّارٍ) يقام علىٰ الصليبِ،
يجذّ منه لسانه كي يخرسا،
من نزفِ (زيدِ) الثورةِ الحمراء،
يُصلبُ، ثم يحرقُ، ثم ينثرُ في الرمالِ،
ليخرسا

* * *

بغدادُ يحفرها الجرادُ ضحىً،
ويدفنها المسا

* * *

بغدادُ تشرب خوفَها
وتنام سكرىٰ يستبيح هوىٰ الخطيئةِ جوفَها
وتقوم عند، الفجرِ لاهثةً،
تمزّق صورةَ الحبّ القديمِ،
وتنتشي بسعالِ (بعثيٍّ)،
يتابع لونها المغبرَّ،
علَّ يديهِ تسرح في الشواطئ ،
أو تمرّ علىٰ المرافئ ،
علّه في الليلِ يقطف كل أزهار الحياةِ،
ويملأ (الكرش) العتيقَ من الخمورِ،
ويشحذ النصل الصدئ علىٰ الصدورِ،
علىٰ القبورِ،
ولم تزل بغدادُ تشرب خوفَها،
والموت يملأ جوفَها.

* * *

وها بغداد راحلة وراءَ الريحِ،
تحمل وجهها الغربانُ،
تعبر عالم الرؤيا الىٰ الغجرِ السراةِ،
وتحمل الألما
وتنثر في الدروبِ دما
وتشرب من محاجر ألفِ مقبرةٍ،
وترسم رعب مجزرةٍ،
وتفرش ريشها الدامي
علىٰ الأجراف والجُزُرِ
وتلعن هالة القمرِ
وتدفن وجهها في الرملِ،
تأمل أن ترىٰ النقما
تصبّ علىٰ وجوه الصبيةِ الفرحين بالمطرِ
وتأمل أن ترىٰ الورما
يشوّه أوجهَ الأطفالِ،
في الاحضان والسُرُرِ
هي الغربان تملأ افقها الدامي

الىٰ السحرِ
وتصرخ: (يا رحىٰ القدرِ
أحيلي وجهها صنما،
يعبّ دما
ويقذف في الوجوهِ دما،
ويحفر صورة القتلىٰ،
علىٰ الحجرِ)

* * *

بغدادُ تغربُ،
حيث تبكي طفلةٌ،
تحمرّ عيناها، وترعبها الجنائزُ،
حيث تسحقها خيولُ الخوفِ،
تزهقُ روحُها
بغدادُ تحتضن التوابيت الحزينةَ سوحُها
وتسيل قيحاً في المساء جروحُها
بغدادُ تهربُ،
والجنود تخبّئُ الخوذَ الصديئةَ،
تخلع الشاراتِ،

والمستشفياتُ تقيءُ قتلاها،
وتشرب صمتَها
والناس ترقب موتَها
بغدادُ راكعةٌ أمام (الهٰها) الخشبيِّ،
تذبح كل امنيةٍ،
ليطفئها، ويشرب زيتَها،
ويزيّن الأكتاف بالرتبِ الجميلةِ،
والنياشين الصقيلةِ،
ثم يمسحها، ويحرقها،
ويدفنها، ويخنق صوتَها
بغدادُ تكتبُ،
ذكريات الحبِّ، كاذبةٌ بيانات الاذاعةِ،
والاناشيد المريضة لا تسلّي الخائفينَ،
ولا تثير حماسةَ الموتىٰ،
ولا تهب البرابرةَ المنىٰ
(صفارةُ الانذار) تملؤها رنيناً، أرعنا
بغدادُ يملؤها الدخانُ،

يضيع في دمها الزمانُ،
وتفقد الاشياءُ معناها،
ويَطمرها (الالٰـهُ) المسخ في وحلِ (الأنا)
بغدادُ ضائعةٌ،
وتصرخ في المقابر: من أنا؟

* * *

ومرّت ليلةٌ اخرىٰ
ولم تزل المعابر تلعن الخطواتِ،
والمتسوّلونَ يغازلون الدرهم النديان بالخجلِ
وانفاقُ الجسور تضيقُ بالعاهاتِ والشللِ
والاف الوجوهِ تُمدُّ،
تبحث في زوايا اليأسِ عن أملِ
لعلَّ فتًى من الآتين يمسح فوق عينيها
لعلَّ العابرين يدغدغون شحوبَ كفيها
لتبهت صورةُ الموتِ
لعلَّ يداً هنالك لم تلطخها الدماءُ،
تجيءُ تزرع بورها بالحبِّ،

تمسح قلبها بالقلبِ،
علَّ هناك من يأتي
ومرت ليلةٌ اخرىٰ
تحجّرت القلوبُ، وأقحلت كلُّ العواطفِ،
والضلوع تكسرت سرا،
وأفواهُ المآذن في السماء تهامست سرا،
وأطفال الضحايا، وهي تشكو للدمىٰ سرا،
وأجراس القوافل لم يعد منها الصدىٰ يصحو
هوالقبحُ،
تكوّر فوق ناصيةِ التماثيلِ النحاسيهْ
هو الذبحُ،
أظافر قاتلٍ تمتدُّ في عنقٍ بوحشيهْ
(رجالُ الأمنِ)!! تملأُ حافلاتِ النقلِ،
وهي تلوك من لحم المساكينِ
وتُلقي في الرصيف عظام من ماتوا،
وتطعن قبرَ من دُفنوا بسكّينِ،
وتمتصُّ الشرايين البريئةَ،

فهي من أوداجنا الحمراء تقتاتُ،
كمجنونِ،
وألحان السنونو في سما بغداد آهاتُ
تطاردها لتسرق صوتَها،
غربانُ تشرينِ.

* * *

بغداد تلبس حزنَها،
ويطوف فيها المخبرونْ
في كلّ دربٍ يختفونْ
خلف الحوانيت القديمةِ مخبرونْ
وعلى السطوحِ،
وبين أروقةِ المدارس مخبرونْ
ووراء جدران المقابر مخبرونْ
ــ فلربما يتزاور الموتى بها، يتآمرونْ
ــ ولربما يتظاهرونْ
ــ ويخبئون (فتائلَ الارهاب) في الاكفانِ،
ــ أو بين المحاجر والعيونْ
بغداد تسمع كيف يهمس في الدروبِ المخبرونْ

* * *

(بغداد يا بلدَ الرشيدِ)
ومنارةَ الدمِ والحديدِ
يا صوتَ فاجرةٍ،
يشوّهُ صوت هدهدةِ الوليدِ
يا نغمةً رعناءَ، غاضبةً على الوترِ الفريدِ
يا وجهَ جزّارٍ،
يجوب من الحدودِ الى الحدودِ ·
ليخوض من جرحٍ الى جرحٍ،
ويبحث عن جديدِ،
بغداد لم تلدي سوى الدمِ،
والضحايا، والحديدِ ·

* * *

بغدادُ لا تدري،
ما قيمةُ الانسانْ؟
تعرفه طيفاً،
تلهو به القضبانْ
وهو من الماضي،

العوبةُ السجّانْ
ترسمهُ البلوىٰ
وجهاً علىٰ الجدرانْ
بغداد قد كانت،
وكان.... يا ما كانْ
(شيءٌ) هوالانسانْ!!

* * *

بغدادُ ترمقُ حرقَ جثّتِها،
تشمُّ شواءَ زنديها،
تذرُّ رمادها في خلسةٍ بين البيوتْ
بغداد تصبح عنكبوتْ،
ويمدّ في كل الزوايا الفَ مقصلةٍ،
تودّ لو ان عالمها يموتْ
وتمصّ من دمهِ من الاحداقِ
من فمهِ، من الاعماقِ،
خمرة ليلةٍ لم تخفها ورقاتُ توتْ
بغدادُ، لا رنَّ الصدىٰ،

فيها، ولا تعب الردىٰ،
بغدادُ ضيعها سدىٰ،
(قمر الزمانِ) يجوب بالفرس المَدىٰ،
ويبيع من عيني حبيبتهِ بريقاً أسودا
يا صوتها الذاوي، هناك تردّدا
فوق السهولِ، وراء أدراجِ المدىٰ
ــ (قمر الزمانِ) متىٰ تعودُ،
وها نيوب الثلجِ تأكلني،
فكن لي موقدا
(قمر الزمانِ) متىٰ تعودُ،
لقد سئمت العوّدا
وسئمت صمتَ الناسِ من حولي،
فمدَّ ليَ اليدا.
الموج يغرقني فمدَّ ليَ اليدا .

* * *

بغدادُ تندبُ،
والرياح تهزّ اعمدةَ المصابيحِ الكئيبةِ،
والدموع تصادر الفرحَ البريءَ،
وباعةُ الاحزانِ تصرخُ،
والازقةُ خاليهْ .
لا شيء يسرح غير اسرابِ الذئابِ العاويهْ
وطيوف جزّارٍ تراكضُ،
في العيونِ الغافيهْ .
فزعٌ، وظلمةٌ هاويهْ .
وغمامةٌ سوداء تغمر أفقها
ورقابُ الافِ الرجالِ تُمدُّ،
ترقبُ شنقَها،
لتعيد خصبَ الارضِ،
تمنحها حياةً ثانيهْ
وتعيد روعة امسها الماضي،
وروعةَ يومِها،
وتثير فيها عشقَها

فلَعَلَّها تصحو، وتنتظر الطيورَ الآتيهْ
لكنما بغداد،
مازالت تغطّ بنومِها
كتبت علىٰ جنبي وسادتِها:
(منامُ العافيهْ)!

* * *

بغدادُ هل مرَّ بك القمرْ؟
وهل همىٰ في ارضك المطرْ؟
هل مرَّ في شاطيكِ (سندبادْ)
من بعد ما اتعبهُ السفرْ؟
قد قيل عنهُ:
أمسِ حين عادْ،
أحرق ما يحملُ، وانتحرْ
لانَّه رأىٰ بك الجرادْ،
ينهشُ والطاعونُ، والغجرْ
بغدادْ لم يرشّها المطرْ

في ليلها تكسّر القمرْ
ومات (سندبادُ) واندثرْ
ماتَ و (قوم عادْ)
يجثم فى عيونها الرقادْ
ولذةُ الاغفاءِ والخَدَرْ
بغدادُ يا (مدينةَ النحاسْ)
طاف بها (الهُها) النعاسْ،
ليمسخ الناس بها حَجَرْ
بغدادُ، يا (مدينةَ الحجرْ)

بغداد والدرب الدامي

مُرِّي على الجرح فهو الجمرُ واللَّهَبُ
وعانقيه فقد أودى به التعبُ
وَأسرجي من بقايا القلب أقبيةً
ظلماءَ، تُعبد فيها اللاّتُ والنُّصُبُ
وَأطفئي النورَ في أحداقِ فاجرةٍ
ماهزَّها ظمأُ الآلافِ والسغَبُ
ولا آحتوتها لطولِ الدربِ مَخْمَصَةٌ
ولا أحستْ بمن جاؤا ومن ذهبُوا
ولحّني لعيونِ الطفل أغنيةً
خضراءَ، ترقص في إيقاعها اللُّعَبُ
وَرَتِّلي لِلْدَمِ المطلولِ ملحمةً
في صِدقِ آياتِها... لا ينطوي الكَذِبُ
في مقلتيكِ على رغمِ الأسى أَمَلٌ
وفي شفاهِكِ عند الملتقى عَتَبُ
فإننا إنْ تناسينا على أَلَمٍ
جرحا فإنا لذاك الجرحِ ننتسبُ
مُرِّي على وَهَجِ العشرين رافلةً
بالنور ما مرّت الأيامُ والحِقَبُ

ما راعَ عينيكِ طيفُ الرُّعبِ مرتعشاً
وقد تخاذلَ دهرٌ منكِ يرتعبُ
ولا تَلَوَّتْ على خديكِ مَسْكنةٌ
يوماً، ولا عَزَّ في عليائكِ الطلبُ
ولا توارتْ لطولِ الدرب منكِ خُطىً
وقد تعاقبتِ الاحداثُ والنُّوَبُ
لِلّهِ دَرُّكِ ما راعتك غائلةٌ
إلاّ وَصَفْوُكِ في أكدارها سَبَبُ
وكم تمناكِ مقروحُ الرؤىٰ سَلَباً
وفاته أنَّ ما في كفِّهِ السَّلَبُ
ما زلتِ والشمسَ في دِفْءٍ وفي أَلَقٍ
فكيف تحجُبُكِ الأنواءُ والسُّحُبُ
لكِنَّما عميتْ عن أنْ تراكِ ضُحىً
عينٌ تَلاطمَ فيها الشكُّ والرِّيَبُ

* * *

هل أنتِ إلاّ الجراحُ الحمرُ نازفةً
وأنتِ إلاّ الوجوهُ السمرُ والغَضَبُ
وأنتِ يا صرخةَ العشرينَ ما طَحَنَتْ

مـنـكِ السـنـونَ، ولا أودىٰ بِـكِ الـوَصَـبُ
تَستلهمينَ مِنَ الآياتِ فيضَ هُدىً
فتنجلي عنكِ في رأدِ الضحىٰ حُجُبُ
وأنت ماورَّثت أجيالُنا لغدٍ،
نبعٌ أفاض به القرآنُ والكتبُ
وأنت مارفَّ ثغرٌ منكِ مبتسماً
إلاّ بآلام مَنْ جادوا ومَن وَهَبوا
ألشاربين من الأيام علقمَها
لِتُورق (الثورةُ الكبرىٰ) بما شربوا
ألصامدين وفي أحداقهم حَرَقٌ
والضاحكين وفي بلواهمُ العجبُ
والمقحِمين لهيبَ النارِ طاهرةً
من الجباه... لكي نَحيىٰ بما نصبوا
حتىٰ إذا هدأت للجمر لا فحةٌ
وقد تهاوىٰ رماداً عندها الحطبُ
جاءت وجوهٌ رماها الدربُ مضحِكةٌ
شوهاء تخدَعها الألقابُ والرُّتَبُ
جاءت علىٰ ألَمِ الآلافِ هازئةً

وحولها كلُّ وجهٍ ظَلَّ ينتحبُ
جاءت علىٰ فقرِ أيدينا وما علمتْ
ما كانَ في دربِ (ذاتِ الشوكةِ) الذهَبُ
مَأساتُنا حيثُ نسقي جذرَ نخلتِنا
دَماً وما زال منها يُسرقُ الرطبُ

* * *

سألتُ عنكِ رُبىٰ (بغدادَ) واجمةً
عدا علىٰ ضرعها الاوغادُ واحتَلبوا
يجتاحُ عفتها أوباشُ مهزلةٍ
ويدعون كذباً أنهم عربُ
سألتُ (دجلتَها): هل ما يزال علىٰ
شُطآنِها الشجرُ المحزونُ ينتصبُ؟
وهل علىٰ غُصنهِ صوتٌ لصادحةٍ
أم استحالَ هشيماً غُصنُها الرطِبُ؟
(بغدادُ) يا طفلةً للشمسِ ضاحكةً
أودىٰ بضحكتِها الطاعونُ والجَرَبُ
أسيادها كلّ مجهولٍ وقد عجزت
منه التواريخُ أن يبدو له نَسَبُ

النشيد الخامس
النشيد الاول

يمتصُّ من دمها أقداحَ خَمرتهِ
وفوق أطلالِها يحلو لَه اللعِبُ
يصفقون له في ظلِّ هودجِهِ
غبرُ الرؤىٰ بئس ما قالوا وما كتبوا
يا (ألف ليلتِهِ) الحمراء في بلدٍ
به الرواة بما قد أسندوا كَذَبوا
يُسَطِّرونَ خُرافاتٍ علىٰ صنمٍ
وَيَنْشُدون، وفيهم يُصلبُ الأدبُ

* * *

وقد ينام علىٰ ضيمٍ أخو حَرَدٍ
وقد يضيقُ بهمٍّ قلبُهُ الرَّحِبُ
وقد يكابدُ من أعماقه أَلَماً...
حتّىٰ يفيضَ حناناً وجهُهُ التَرِبُ
لكنما الثأرُ يبقىٰ في جوانحِهِ
يَضْرىٰ علىٰ الأملِ الآتي ويلتهبُ
لكلِّ صارخةٍ ذُلاًّ وما برِحتْ
علىٰ رنين المآسي قلبُها... يَجِبُ
وطفلةٍ عَضَّتِ الايامُ صورتَها

فوجهُها لِصبايا الحيِّ مكتئبُ
لكلِّ أمٍّ تجوبُ الليلَ عَلَّ بهِ
طيفاً علىٰ رغم طولِ الدرب يقتربُ
لحشرجات شهيدٍ كلُّ منيتِه
أنَّ الذي فيه عندَ اللهِ يَحتسبُ
أمسِ استفقتُ علىٰ صوتٍ يُشوّقُني
وما درىٰ أنَّ قلبي طبعُهُ خَشَبُ
آتٍ يذكرني عُمْراً... يمزقني
فيه التمرُّدُ والآلامُ والهَرَبُ
أجبته أنني طيرٌ بلا وطنٍ
أحطُّ أنّىٰ تَراءىٰ مرتعٌ خَصِبُ
ماخفت يوماً علىٰ ما في يديَّ غِنىً
وليس عندي ما يُهوىٰ وَيُستلبُ
لكنَّ لي أملاً أنْ سوفَ يَحمِلُني
الى (العِراق) نَفيرٌ صاخبٌ لَجِبُ
تدق فيه طبولُ الحقّ صارخةً
(اللهُ أكبرُ) يا ثاراتِ مَنْ صُلِبوا...
(اللهُ أكبرُ) عُدنا اليومَ عاصفةً

فيها بنود عَلَتْ من «كربلا» خُضُبُ
(اللهُ أكبرُ) جاءَ الحقُّ تَحمِلُه
كفٌّ تَساعىٰ بها في أمسِهِ «رَجَبُ»
يحدو بها صوتُ (روح الله) صاعقةً
لا تنثني وهو في غَلوائِها قُطُبُ

* * *

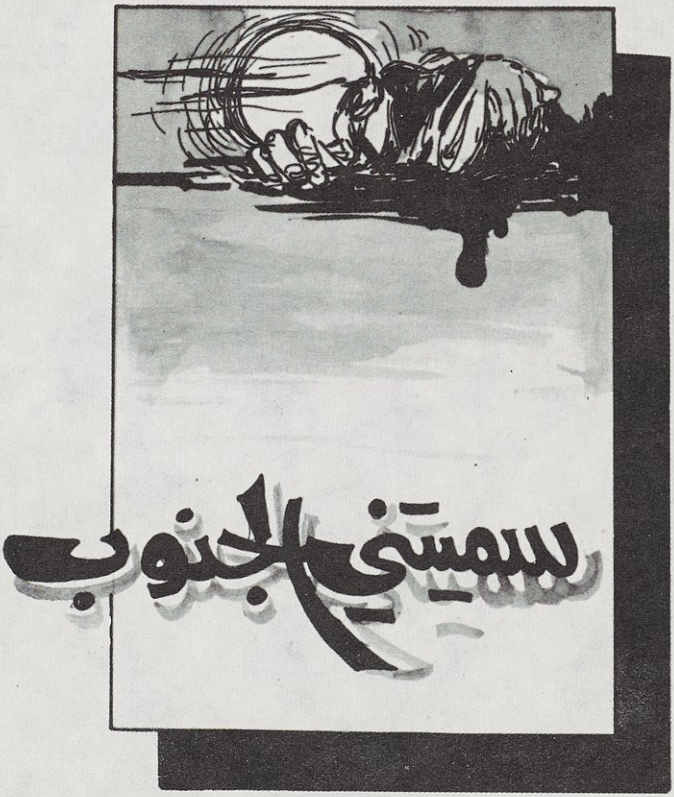

«الى نزار قبّاني»

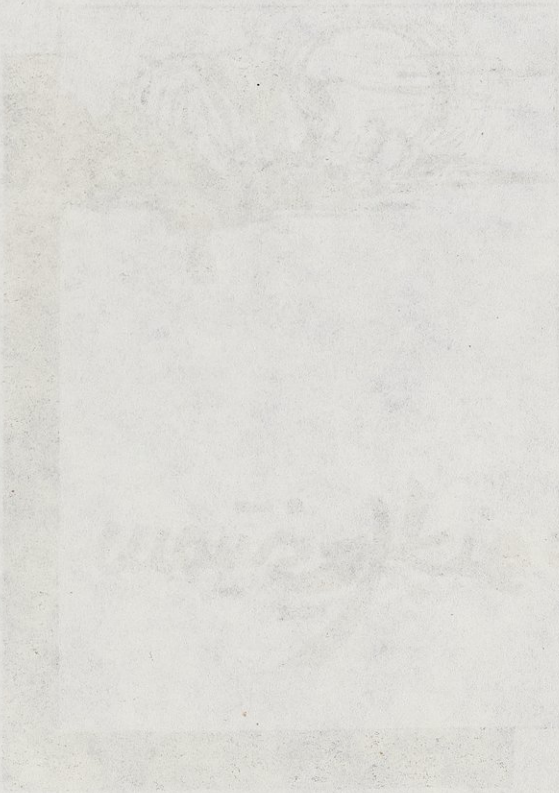

لستَ الذي سَمَّيتَني الجنوبْ.
يا ألفَ وجهٍ مستعارٍ يمضُغُ الرياءْ.
يا نغمةَ العُهْرِ التي تلعنها السماءْ.
ويا رؤىٰ خطيئةٍ سوداءْ.
يا صورةً ترسُمُها الرذيلهْ.
يا بائعاً على الرصيف عِفَّـةَ القبيلهْ.
فأي سيف بعدها (تبوس)؟
ومن ترى ترثي لنا «جسّاس» أم «جليله»؟
وكيف بعت شعرها جديلةً.. جديلهْ.
يا وارثَ الخيانة الرعناءِ من ملحمة (البسوسْ).
ما أنتَ والفداءْ؟
يا حانةَ الخمرةِ والنِّساءْ.
يا عابداً (بلقيسَ) دونَ اللهْ.
(النخلةَ الطويلة)، (الحِصانَ)، و (القَطاهْ).
ونحن في الجنوبِ في أكواخِنا حُفاهْ.
اهديَتنا قصيدةً طويلةً... عصماءْ!
شكرا لكم... نبيعها ونشتري بسعرِها حذاء!

* * *

لستَ الذي سَمَّيْتني الجَنوبْ.
يا غافياً على ضِفاف بركة (المُلوكْ).
يا راهباً... مزيَّفا يُعطي لنا شهادةَ (السُّلوكْ).
عذراً اذا أيقظَكَ الجَنوبْ.
أيقظَك الصُّعْلُوكْ،
من نومةٍ طويلةٍ مُثْقَلَةِ الأجفان... والجيوبْ.
من بعد سكرِ خمرةٍ معتَّقَه،
كرعتها من غَثَيانِ أمة ممزقه،
ومن صرير مِشنقه.
عذراً اذا أيقظَكَ الجنوب.
فجرحُهُ أكبرُ من (مؤتمراتِ القمة) الكثيره.
وجرحُهُ احتوى رمالَ النيل والجزيره.
وجرحه مهمةٌ... سِرّيةٌ... خطيره.
وجرحه مُضَمَّخٌ منذُ هوى «الحسين»
ومزقت أوصالَهُ السَّنابكُ الحقيره.
و جرحه ما مدَّ يوماً نحوَكَ اليدين...
يا حافظاً جميع جغرافيةِ القُصورِ والحراسِ
والأميره!
وناسياً خريطة الجَنوب!

* * *

عذراً اذا أيقظكَ الجَنوبْ.
من بعدِ ما أنهكَكَ السَّهر.
وشدَّ من أجفانِك الخَدَر.
فنحن لا نعرفُ طعمَ السُّكر... و(الحشيش) و (الحبوب)،
ونحن لم نعاشر الغَجَر!
فَألفُ عذرٍ أيُّها (النبيل) حتى العظمِ
والنخاعْ!
فَرُبَّما خُلقتَ أنتَ قبلَنا من طينة (البقاع)!
وربما أنتَ (المسيحُ) جاءَ يطعم الجياع!
وربما أنتَ الذي (يجيءُ آخرَ الزمانِ)،
يهدم القلاعْ!
وربما أنت الذي يُصبحُ في (صُور) لنا
البحّار... والشِّراعْ!
وربما... وربما لكننا نخشى اذا تمزَّقَ القِناعْ!
واتضحَ البائعُ... والشارون...
والبضاعةُ التي تُباعْ!

* * *

ظننتَ أَنَّ جرحنا يباعُ في المعابر.
ظننت أن وجهنا حقيبةٌ يحملها مسافر.
ظننتَ أَنَّ صوتَنا لحنٌ رمته الريحُ في المقابرْ.
ظننتَ أَنَّ دمعنا يضيعُ في المحاجر.
ظننتَ أن ثوبَنا يلبسُهُ (المهرجُ) (المُقامر).
فَرُحْتَ تشتري لنا (المسدسَ الكاتمَ)،
والنوارسَ البيضاءْ.
وتشتري الحِنّاء للعروسةِ الشقراءْ...
وتصنع القهوةَ للرجالِ في أيامِ عاشوراءْ.
وترسم الطريقَ من فوهةِ بندقيهْ!
وتكتب الشعرَ البطوليَّ لنا بالأَحرف السِّرِّيهْ!
تريد أن تثيرَ في نفوسنا الحميَّهْ!
أهلاً (بجيفارا) الذي عادَ من الأَدغالْ!
يوزّع الخناجرَ البيضاء للأطفالْ!
أهلا (بساندينز) الذي أضرب حتّىٰ الموتْ!
وعادَ في الشوارع الظلماء بعد الموتْ!
يرفعُ فيها الصوتْ!
يعلّم الثورةَ للصغارِ في المدارسْ!

ويشعل الشموعَ في الكنائسْ!
أهلاً (بنيرودا) الذي يكتب بالسكينْ!
وَيُرضِعُ الثورةَ للجنينْ!
ويخبزُ الشعيرَ في تنورهِ الثوريِّ للمسكينْ!
أهلاً بمن أرسله (اللهُ) لنا في الزمن المجنونْ!
يسير خلف خطوه خيلٌ... ورايـاتٌ... وثائرونْ!
ليفتح القدسَ لنا ويزرعَ النعناعَ ... والليمونْ،
وينتهي على يديه الظلمُ... والإرهاب... والسجونْ!
وتنتهي أسطورةٌ (حاخامها شارون)!
وكيف لا يكونْ،
وموتُ (بلقيسَ) هو القضية الأُولىٰ،
وموتُ (القدسِ) في حسابك القضية المِليونْ!

* * *

رأيت فيكَ (البيدق) المغلوب.
وكيف لا؟... وأنت من عانق (صدّاماً)،
وغطت وجهه ابتسامهْ:
ثم بكىٰ لمقتلِ الجَنوب والحمامهْ.
وجاء بعد قتلها يُـذَكِّـر الناسَ بيومِ الحشرِ والقيامهْ!

أَتَذْكُرُ اللِّقاءَ في (بغدادْ)؟
في قصره الكبير في (بغدادْ)؟
وكفك التي أعدت تلكم القصيدة!
هي التي صافحت الجَلاّدْ!
وَصَفَّقَتْ لحربهِ المجيدهْ!
وباركت سلامهْ.
وامتدَحَتْ في وجهه ملامحَ العروبةِ السمراءَ،
والنخوةَ والكرامهْ.
وهوالذي امتَصَّ دماءَ أمتي بنشوة المدامةْ،
ثم رمىٰ تاريخَها في (سلّة القُمامهْ)
أما سمعت شهقةَ الأطفال من أَظافِرِهْ؟
أما رأيتَ صورة الأَموات في محاجرِهْ؟
فكيف تنسىٰ وجهَها وتذكُر الأمواتَ في الجنوبْ؟
يا شارباً من دمنا الكؤوس في (بغدادْ)،
وباكياً لفقدنا في مأتمِ الجنوبْ!

* * *

ولستُ أدري ما الذي حَرَّكَ في عروقك الغضبْ؟
و ما الذي أوقد في روحِك معنىٰ النارِ واللهبْ؟
أَنَزْفُنا؟... وهو يسيل قانياً،
من بين أشداقِ كلاب أمّة العربْ.
أَلَحْمُنا؟... وهو يُباع أمسِ في مطاعمِ الطريقْ.
يأكله العدوُّ والصديقْ!
كواسجُ الموت التي انيابها الحمراء تفري جثّة الغريقْ،
بحجة النَّسبْ!
واينَ كان شِعْرُكَ الثوريُّ يومَ احترق الجنوبْ؟
واحترق الضياءُ في الاحداقِ والآمال في القلوبْ؟
في أيّ (بارٍ) كنت تقضي (سهرة الطربْ)؟
أكنت في (باريس)... أم في ضَفَّةِ (الدانوبْ)؟
تسقيك (بلقيسُ) خمورَ (القادة العربْ)!
والعجبُ العُجابُ أنَّ ضفدِعَ المساومهْ...
يُنشد للثوارِ لحنَ سورة المقاومه..!

* * *

(RECAP)

ارجوك لا تبكِ على حمامةِ السَّلامْ.
فنحن لا تثيرنا برامجُ الاذاعهْ.
ولا (اسطواناتُ) الاناشيدِ الحماسيةِ،
أو ما يخطب الحُكّامْ...
ونحن لا تخدعنا الإذاعهْ.
وأيّ معنىٰ للسلامِ في صراعِ الموتْ؟
وحين يخبو الصوتْ؟
وحين تطفو في العيونِ صورةُ المجاعه؟
أرجوكَ لا تبكِ على حمامةِ السَّلْام.
حتى وان رأيتَها مُجرَّحهْ...
لأنها تخبئُ البارودَ تحت ريشها والأسلحهْ.
وحين تأوي في ليالي الصيف للأعشاشْ،
تدرب (الفراخَ) كيف تحمل الخنجَر والرشاشْ!

* * *

لست الذي سَمَّيْتَني الجنوبْ.
فانني أملكُ من ولادتي هويهْ.
وانني مسجَّلٌ في (دفتر النفوسْ)
أبي يسمىٰ الرافضَ الذي أقام قلعة الحرّيهْ،
وأميَ السمراءُ... بندقيهْ.
وانني تشرق في حقوليَ الشموسْ.
تزف كلَّ ساعةٍ شهيدةً عروسْ.
لمذبح القضيهْ...
وانني أيام «عاشوراءَ» حين أذكر «الحسينْ»،
أقرأ في كتابه المخضوبِ كلمتينْ،
أقرأ: قرآنٌ وبندقيهْ.
فأحمل الهويهْ،
في حرقة الدمعة.. في اختلاجة القلوبْ
لستَ الذي سميتني الجنوبْ.

* * *

الىٰ الذي عاهدَ اللهَ ... وَوَفّىٰ

خُطاك أم ملاحمُ الزمنْ؟
وقلبُك الكبيرُ، أم عُصارة المِحنْ؟
وحرفُك الفِضيُّ في مسيرةِ الصراعْ،
ما تاه في دَوّامةِ الضَّياعْ.
يا راسِماً في الرفضِ ألفَ لا ... ولمْ ... ولَنْ.
ويا غريباً لفَّ في رِحلتِهِ الشِّراعْ،
وَوَدَّعَ الأحباب والوطنْ.

* * *

ما زال صوتك المدوّي يملأُ السماءْ،
مازال فيه الأملُ المنشودُ والرجاءْ.
ما زال في كلِّ فمٍ دُعاءْ،
ما زال في عينيكَ لونُ الحزنِ والبكاءْ،
مازال صوت منكَ كالنشيج
يَضِجُّ في أوديةِ (العراق)... والشّطآنِ... والخليجْ.
أمسِ على قبرِك قد طافَ بيَ الخيالْ.
كأنَّ روحَ (الصدر)، في شِفاهِهِ سُؤالْ:
من ذاك ؟ وَانشقّتْ له الرمالْ

ولاح في وجهكَ لون الخُلدِ من بعيدْ
مَرْحىٰ! وَضَمَّكَ اشتياق الأُم للوليدْ
كأنما (البصريّ) أرخىٰ اليوم مقلتيهْ:
يا فرحةَ اللِّقاءِ، واحتواك في يديهْ.
ألاسمعتَ الناعيَ الكبيرَ يوم قالْ:
ما أعظم البكاءَ في مواكبِ الرجالْ؟!

* * *

مامِتَّ. أنتَ اليومَ في كلِّ فؤادٍ نبضْ.
أنتَ، وان أودعت هذي الارضْ،
ما زلتَ في القلوبِ والعُيونْ.
وأنت لن تمحوك من أرواحِنا السنونْ.
وأنت رغم صَرعةِ المَنونْ،
باقٍ الىٰ أن يسقطَ الوَثَنْ.
يا واهبا من روحه الثَّمَنْ،
بِلا... وَلَمْ... وَلَنْ

الفهرست

١ ــ في البدء ٧

٢ ــ الخنجر ... الخنجر ٩

٣ ــ العيد و الجراح ١٣

٤ ــ انشودة الغضب الآتي ١٩

٥ ــ اعترافات مهاجر ٢٧

٦ ــ رجب الرفض ٣٩

٧ ــ ذكريات عبر الجراح ٤٩

٨ ــ اعيذ عينيك أن تغفو على عتبي ٥٥

٩ ــ بيروت ... بغداد ٦٥

١٠ ــ تراتيل في حضرة الجراح ٧٥

١١ ــ بكائيات الوتر الوحيد ٨٥

١٢ ــ الطف ... الجراح ... الرفض ٩٧

١٣ ــ اشياء يفهمها الثوار ١٠٥

١٤ ــ كتابات على حدق التاريخ ١١٣

١٥ ــ ثرثرة في ساعة الصفر ١٢٥

١٦ ــ قصيدة لم تكتمل بعد ١٣٣

١٧ ــ مدينة الغربان و الحجر ١٣٩

١٨ ــ بغداد و الدرب الدامي ١٥٧

١٩ ــ سمفونية الجنوب ١٦٩

٢٠ ــ لون الحزن و البكاء ١٨١

7475

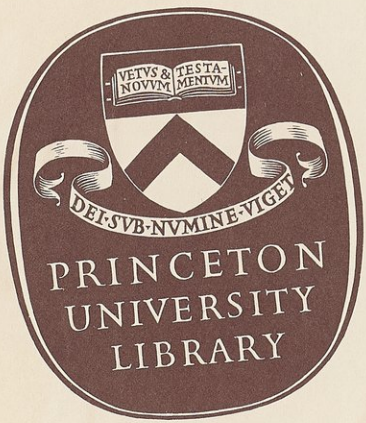

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa
JULY - AUG 1989
We're Quality Bound

PJ7840
.A45S22
Princeton University Library
32101 075805711

بمناسبة الذكرى السادسة للحرب الظالمة المفروضة
على الجمهورية الاسلامية في ايران

معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية
في منظمة الاعلام الاسلامي
٢٣١

السعر : ٢٣٠ ريالاً